تفاصيل القلب

هاني فحص



رائد الأدب



مؤسسة الوفاء

تفاصيل القلب

هاني فحص

تفاصيل القلب

رائد الأدب
مؤسسة الوفاء
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ ١٩٨٥م



مؤسسة الوفاء: بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤٥٧ - ت: ٣٩٢٦٨٣

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

في زمن بدأ فيه المد الاسلامي يتنامى ويزدهر ، واستطاعت فيه الثقافة الاسلامية أن تأخذ مكانها المرموق بعد أن بدأ المسلمون بالأياب الى ذواتهم والتمسك بعروتهم الوثقى التي لا انفصام لها . في هذا الزمن كان لا بد من وجود ادب اسلامي مستقل له خصائصه ، ومميزاته الفريدة ، يعب من رافدين ولا اعذب من ذلك أو ازكى ، القرآن الكريم ، والحديث الشريف ونهج البلاغة .

هذا الأدب الاسلامي ولد مذ زمن بعيد ولكنه لم يزل حتى اليوم طفلاً خجولاً يخشى اقتحام ميدان الأدب العالمي اقتحاماً لا مجال للتراجع فيه لأنه لم

يتعد النتاجات المتناثرة من هنا وهناك انجبها بعض الشباب المسلم المثقف في ازمنة متباعدة .

ولكي يقتحم ميدان الأدب العالمي يجب أولاً ان يصبح ادباً مستقلاً ومميزاً له خصائصه التي يتسم بها ، ولكي يصبح كذلك يحتاج الى ثورة ادبية تعلن العصيان والتمرد والرفض للقيم الغربية في الكتابة . والثورة لكي تنجح تحتاج الى التعاون وتضافر الجهود بين كل الأدباء المسلمين ، كما تحتاج الى عتاد تقتحم به الميدان ، ويؤمن لها استمراريتها ، اي نتاج ادبي واسع وشامل ومتواصل . وهذا واحد من الأدباء المسلمين الذين اعلنوا العصيان والتمرد ، واقتحم الميدان بنتاجه الأدبي الداعي الى الزهو والافتخار . تقدم مؤسسة الوفاء كتابه هذا مساهمة في تأمين العتاد الأدبي اللازم للثورة الأدبية .

الناشر

الاهداء

ايها الشهداء
والجرحى والاسرى
هل يكفي ان نكتب دمكم وآلامكم
وغضبكم ؟.
هل يجوز ان نهدي اليكم يسيراً من
جودكم ؟!..
ذلك قصارانا ونبقى قاصرين عن
مضارعة فعلكم ..
" وليسعد النطق ان لم يسعد الحال "
اليكم على استحياء وحب
ولا زال دمكم وهجاً يضيء لنا الاتي
من عمرنا

" هاني فحص "

المقدمة

هـذه أوراق متناثـرة تتضمن نصوصـاً أدبيـة منـذ سنوات عديدة وأنا أكتب ما يماثلهـا لغة واسلوبـاً . محاولاً جعل النص الأدبي متماثلاً مع حركـة المجتمع الاسلامي بكل تنوعها وعلاقاتها الداخلية والقيم التي تحكمها والعواطف التي تسودها .

محـاولاً في نفس الـوقت ان اثبت انـه لا داعي لاعتقـال الفكرة او الخـاطرة او الحلم في شكـل أدبي محـدد (قصة ـ قصيـدة . . الخ) مستفيـداً في ذلـك

من الأسلوب القرآني داعياً الى تمثله واستنباط قيمه وقوانينه . . أني أحاول ان أتحرر بالأسلوب القرآني من آحادية الشكل وضوابطه القسرية باتجاه ضبط الايقاع الداخلي وتناسقه العفوي . ان اللوحة القرآنية تتعرض لأكثر من موضوع وأكثر من فكرة في أكثر من مكان او زمان وتتراوح بين التقرير والتاريخ والتشريع ومخاطبة الذوق والوجدان دون التقيد بسياق ودون ان تفقد سياقها ، مقدمة ملامح سياق قرآني متميز ومؤثر ومحرض على تلمس خصوصية القرآن كمدخل الى تلمس خصوصية الأمة الاسلامية وتمايزها في المستويات كافة والمستوى التعبيري منها خاصة .

ان هاجس العصيان والتمرد والرفض للقيم الغربية في الكتابة على اساس من رؤ ية اسلامية شمولية هو الكامن وراء كتابة هذه النصوص بالاضافة الى انها تعبير ، يحاول ان يكون صادقاً ، عن هموم وعواطف وأحلام اسلامية جميلة ومشروعة .



مواليد

تخطيط لسيناريو يصور بالأبيض والأسود (سكوب) .

(١) غرفة واسعة مكيفة . تتقدمها صالة أنيقة (سويت) ، ستائر مخملية بلون بنفسجي فاتح ، سرير خشبي ذو شكل دائري ، أغطية بيضاء ناصعة أكثر من الثلج والملح والسكر .

موسيقى هادئة . . ممرضتان بالبياض ، باقات ورود بيضاء كملاءة السرير (يلاحظ هنا ان تغيراً قد حدث في علاقات اللغة حتى صار المشبه مشبهاً به

وكـذا العكس دون أن يكون التشبيـه مقلوباً حسب تعبير أهل اللغة) .

علب حلويـات « دانمركيـة » منضدة فـوق بعضها بعناية .

علبة « پامپرز » (حفاظـات للأطفـال مصنعة في الخارج تتلف بعد الاستعمال ثمن الواحد منها نصف دولار ويحتاج الطفل الى ثلاثة يومياً) .

مصور فوتوغرافي ببـدلة بيضـاء ورباط عنق أبيض يلتقط الصور التذكارية بـرشاقـة . . ويمكن للمخرج ان يلاحظ تفاصيل كثيرة، يطول المقام بذكرهـا هنا، ويمكن له ان يوزعهـا فنياً مـع الحذر من الإيحاء بأي حـوار بينها، لأنَّ السكـون هنا مـطلق حتى الحـركـة الآليـة كـأن السكـون يسكنها . يمكن للمخـرج ان يـوحي بـأن الحـركـة اذا لم تكن من الـداخـل بقيت سكونا في جوهرها .

صـوت الطبيب يـدخل بـاسماً وكـأنـه تسلم لتـوه شهادة تخرجه : مبروك ، ولـد يا مـدام . .

***

(٢) بناء بسيط مكعب وسط يبدو أنه صحراوي . . ليل . . نسيمات لا تداعب شيئاً، لو كان شيء يصلح للمداعبة لداعبته على تواضعها . . قمر يقارب أن يكون بدراً . .

صبية يبدو عليها الضمور والرضى معاً . . ترتدي ثوباً واسعاً يصعب تمييز لونه حتى في النهار يغطي جسمها ويصل الى قدميها ، تشد رأسها بعصبة سوداء. مطرقة حياء وفرحا ، تتلفت يمنة ويسرة ، لا ترى أحداً، تلفه، أي وليدها، بطرف ثوبها ، تنحني قليلاً أثناء مشيها لا من أجل الطفل ولكن حتى لا ينحسر ثوبها . . يطالعها القمر ، يجدها شاحبة وباسمة وهي تمضي به جذلى كأن غيمة قد أمطرت لتوها .

***

(٣) لا أحد يرى الطفل . . تؤذيه الأنفاس والأصوات يبقى في غرفة خاصة تعنى به ممرضة وطبيب مختص من جامعة «بركلي» .

حضور ورائحة عطور باريسية (رجالية ونسائية كوكوشانيل وباكورابان).

يبدو على وجوه الجميع فضلاً عن ملابسهم آثار نعمة يصعب تصديق زوالها . كانوا على انتظار في الصالة استقبلوا الطبيب ـ طبيب الولادة ـ بحفاوة . يمكن إجراء حوار ناعم وخافت تتداخل فيه مع اللغة العربية لغات أخرى .



(٤) في الجانب الآخر صمت ولكنه غير ثقيل . . هناك شيء غير محدد يجعله خفيفاً وفيه وعود يستطيع المصور أن يحرك الكاميرا على زوايا مختلفة ليوحي بأن هناك حواراً ما بين الأشياء ، بين النجوم ، بين الملائكة ، بين الأصنام ، بين الكعبة والقمر ، بين القمر والنجوم . بين الأرض والسماء ، بين ذرات الرمل ، بين المسافات ، مسافات الزمان ، والمكان الخ .

وبامكانه أن يخرج عن السياق (بانوراما) ينقل

الكاميرا الى مشهد رجل فقير هزيل عار إلا مما يستر عورته وآخر أسود تبدو الغربة والعبودية في عينيه ، لا يحسن تلفظ السين يلفظها شيناً ، غاضبان يتناجيان بكلام يقطعه آهات وتنهدات ، وفجأة يشخصان ببصرهما الى نقطة محددة ، بعيدة . . يظهر عليهما شعور بالعافية والامتلاء وتشع من عينيهما وعود كثيرة . . تنتقل الكاميرا بسرعة الى نجم يغادر موقعه في السماء نحو الأرض . . تقفل اللقطة . .

***

(٥) خبر في صحيفة عربية نسائية الى جانب دعاية (كلينكس) أو الى جانب صورة حرم رئيس عربي وهي توزع شهادات التخرج من معهد الباليه . . الصحيفة قد تكون : (العربي) أو مجلة (مجمع اللغة العربية) أو (حواء) أو (الحسناء) أو (الشرقية) أو (الاهرام) أو (الثورة). . الخبر : دخلت قرينة رجل الأعمال والمال الكبير المستشفى لا للإطمئنان على الوضع النفسي لجنينها هذه المرة كما جرت العادة كل اسبوع ، بل لتفرج عنه بعد انتظار

جميع الأهل والأصدقاء والعاملين في مؤسسات الوالد .

يتصرف المخرج في تحويل المشهد الى مشهد متحرك مع استخدام الامكانيات الكوميدية المتوفرة مع صورة غير متحركة للقتلى في شوارع صبرا وشاتيلا وسحمر وجبشيت..



⑥ راعيان اثنان ، عائدان بقطيعهما عصرا من بطن الصحراء ، القطيع يبدو عليه الهزال والراعيان هزيلان . . تنتقل الكاميرا ـ فلاش باك ـ الى المراعي الصحراوية حيث تظهر أعشاب قليلة وهزيلة أيضاً .

يقول الراعي لرفيقه . . نذهب الليلة الى دار عبد المطلب لنصيب بعضاً من السويق. . فقد رزق أبو طالب ولداً . .

الثاني : نذهب ويتابع : له اللاة أبو طالب يكثر أولاده ويقل رزقه .

الأول : دعك من هذه اللاة ، ما أراها إلا الى

زوال . . ولكن من يجرؤ ؟ . . أبو طالب رجل كريم لن يعدم نعمة .

***

(٧) الطبيب المولد : يعود ثانية الى الغرفة تبدو نشرة مكتوبة بالانجليزية ترجمتها : الطول ٤٤ سنتيم و٣ مليم والوزن ٣٥٣١ غرام، اللون أسمر حنطي . العينان عسليتان، الشعر أسود يميل الى لون الكستناء . . ليس للوالدة فيه سوى الأنف والشفتين هنا يصرخ أحد أصدقاء الوالد (نعمة من الله) غمازتان في الخدين أخذهما عن عمته، تصفيق .

***

(٨) عبد المطلب . . يفترش حصيراً من سعف النخل أمام داره وحوله جمع من بني عبد مناف وبعض الأصدقاء، يأتونه به ، يقلبه بين يديه . . حسناً يا أبا طالب ها هو دقيق المعصمين والساقين عظيم ما فوقهما . . صلب وفارس . . ناولونا سويقكم (دقيق الشعير مطبوخاً بالسمن والتمر) . . ماذا سميتموه ؟ يقول أبو طالب : أسمته أمه

حيدرة .. كان أبوها أسداً .. وهي تذكر عندما كانت فتاة غضة كيف هاجم الذئب قطعان أبيها كان القطيع بحاجة الى رجل كالأسد ليرده .. وتذكر كيف جاء أبرهة ولم يعد إلا تحت ضغط الأبابيل .. وهو : حيدرة .. لاسمه بحروفه ايقاع قوي يذكر بزئير الأسد ويلقي الرعب في عروق الأعداء .

***

(٩) صوت .. يتصرف به المخرج ويقطعه الى حوار ليس من الضروري أن يكون بين رجل وآخر قد يكون بين الأشياء .

والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الرضيع بثدي أمه .. ولكني اندمجت على مكنون علم لو بحت به ، لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة ..

***

(١٠) منزل فاره وأنيق .. أعجز أنا عن وصفه وبامكان المخرج ان يتدبر الأمر ، رقص وخمر وغناء

قليل بالعربي وكثير بالأجنبي . . حفلة على شرف المولود .

مع الفجر . . احدى صديقات الوالد تصرخ : سكوت . . يصمت الجميع . . والآن جاء دور الهدايا .

جد المولود لأمه : هديتي الى المولود « فيلا » في الجبل وشاليه على البحر وسيارة سبور مرسيدس . تصفيق . . جدته لأبيه : أخرجت عقداً من « الماس » قدمته لكنتها . . تصفيق . . حاد . .
الوالد : هديتي الى المولود أجر يوم واحد لكل العاملين في المؤسسات وتذكرة سفر للطبيب الى الشاطيء اللازوردي . . في فرنسا . . تصفيق وحديث عن الاحسان والذوق .

***

(١١) فتى في عينيه حزن وغضب ويقين وفرح مكنون . . يصلي خلف كهل يمر أبو طالب : ها . . تصلي خلفه ولم تسألني .

ألفتى : عندما خلقني ربي لم يسألك .

ابـو طـالـب : يبتسم صـل جنـاح ابن عمـك . . ويمضي راضياً .

***

(١٢) خبـر في قسم الشرطـة من صحيفة عـربيـة يومية : أبو المولـود . . فلان . . بـدون ألقاب اعلن افـلاسه ولجـأ الى المخدرات وقتـل زوجتـه في لحـظة انهيـار عصبي وأدخل قسم الأمـراض العصبيـة تحت الحراسة ، وأرسل طفله الى منزل جدته المتـواضع في القـرية حيث عـادت مكرهـة بعدمـا تبين أن ولـدها الوالد رجل المال الكبير قد رهن كـل ما يملك وتملك العـائلة لدى البنـوك التي سارعت الى إجـراء الحجـز على المرهونات وعرضتها للمزاد . . تفاصيل يعرضها المخرج لارهاق المشاهد . .

***

(١٣) الطفل يموت .

لم تستطع جدتـه ان توفـر له العنـاية الكـاملة ولا نـوع الحليب الراقي الفـرنسي الذي تعـود عليـه . .

أصيب بحمى في الامعاء ومات .

(يتصرف المخرج حسب المناسب) .

***

(١٤) مشهد لموت يزيد بن معاوية والحجاج والشاه والسادات .

***

(١٥) حديث الدار . . أبو لهب ببدلة حديثة (جينز) و(بايب) .

الرسول (ص) يطلب النصرة . . أبو لهب يسخر . . وعلي (ع) يصر على النصرة .

ضابط اسرائيلي ـ جبشيت ـ الضابط يمد يده لمصافحة راغب حرب وهو يضع يديه وراء ظهره . . يبدو على الضابط الغضب والدهشة . . راغب حرب . . يسقط . .

يده على قلبه ويصرخ : الله اكبر النصر للاسلام .

صبيان ايرانيان يتحدثان لمراسلة هندية من سجن للأسرىٰ في بغداد . . فتى أصفهاني يظهر على

التلفزيون ويقول كلاماً جميلاً .

* * *

(١٦) يخرج المخرج من غرفته . . يقف أمام الكاميرا . . يعتذر عن قطع السياق لأن التفاصيل معروفة وغنية والفن لا يستطيع التقاطها دون أن يؤثر على جمالها .

(١٧) أ ـ زيارة عيد الغدير في النجف : السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته على خلقه اشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده وعملت بكتابه واتبعت سنن نبيه . .

ب ـ زيارة الأربعين في كربلاء : السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره .

ج ـ زيارة الرضا : السلام عليك يا غريب الغرباء .

د ـ زيارة المهدي : السلام عليك يا صاحب العصر والزمان . . عجل الله تعالىٰ فرجك .

* * *

(١٨) زينب تزور بنت الهدى . . صبحية

أخضر . . شهيدة الهجوم الاسرائيلي على جبشيت . . هجمت على الدبابة ضربت الضابط فقتلها الجندي ، تحدث زينب عن جبشيت .

الخميني يزور ضريح الامام في النجف . . تنتقل الكاميرا الى بهشت زهراء .

محمد منتظري يخطب في مؤتمر للمستضعفين . . يدخن سيكارة (هما) سيكارة شعبية ايرانية رخيصة .

رجل يحمل حذاء من الليف يخصفه بيده . . الى جانبه قرص شعير وسيف وكتاب وعيناه مفتوحتان على زمن مفتوح . . ومن بعيد يأتي « عثمان بن حنيف » مطرقاً خجلاً .

***

مشهد أخير : صلاة الجماعة في طهران .

مظاهرات في المغرب .

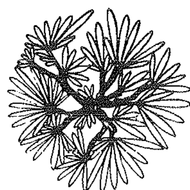
طبس .

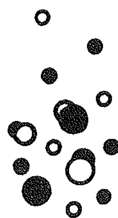
احتفالات برسيبوليس . . مشهد لدفن السادات . .

***

شعر بايقاع جذاب وعميق مع مشاهد لحقول الزيتون حول القدس وحقول التبغ في جبل عامل . .

ذكراك رنّح كؤوس الفكر يا عيد
فقد اطل على الصحراء عنقود
تفتح اللهب الوسنان عن خضلٍ
زاهٍ تخلّت به عن عقمها البيد





لحظة فرح

اشهر على اقتران النور بالنور بـامر النـور . . في شهر النور ، يأتي النور الى كنف النور، فيزداد النـور نوراً على نور . . ﴿ **نور على نور يهدي الله لنوره من يشـاء . . ومن لم يجعـل الله لـه نـوراً فـما لـه من نور** ﴾ . .

الف واربعمائة عـام نلتقي هنا في طهـران نحتفل بمولد المجتبى الحسن (ع) ويلتقون هناك وهنالك ، فقراء مقموعين ولكنهم مؤمنون ، في قـرية من قـرى

الصين مثلا .. او في ديهر قانون ، القرية العاملة المحاصرة .. رغم الماركسية والليبرالية والحروب الصليبية والحركة القومية والصهيونية .. رغم نوافير الدم .. رغم الجراح المفتوحة على بعضها البعض ، المتصلة ، المتواصلة في الزمان وفي المكان .. نلتقي ونفرح نختلس لحظة من فرح مشروع ومكثف نعتصرها ، ونتزود فرحاً، وقوداً لأحزاننا .. احزاننا مقدمات افراحنا الآتية ﴿ يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ﴾ . . .

نلتقي نقول لرسول الله (ص) ولأمير المؤمنين وللزهراء (ع) للمهاجرين والانصار نحن على حبكم نفك عرى الزمان .. ونأتيكم هكذا لحماً ودماً ، ليومين قبل بدر ونقول ، فرحكم بالمولود ليس لكم وحدكم .. كيف ونحن نستغرق في أحزانكم وأوجاعكم كلها « أهلت ». ودماؤكم تجري في وجداننا وبين اعيننا حارة كأنها تسيل ليومها .. نحن شركاء الغنم والغرم معاً .. والا فلماذا يقتلوننا ؟ .. احببناكم واعددنا للفقر جلباباً ..

وللشهادة كفناً . . على حبكم نولد وفداء لكم نولد ثانية . . ونستهدي بدمنا . . دمنا يدلنا على الطريق إلى جواركم في الجنان . . ونشرب من يد الرسول نقيع الزبيب . . حلاوة المولود .

الف واربعمائة عام يستطيع السيد السبط ان يدرج بيننا الآن . يعثر باذياله ، يكبو ، ويقطع رسول الله (ص) حديثه مع احد صحابته ، رغم التزامه باحترام محدثه ، يسرع الى الصبي يأخذه بين يديه ، يتأمله ملياً مخافة ان يكون قد اصابه سوء . . يقبله ويقرأ آية الكرسي يمسد شعره ، يتجه الى صاحبه ويستأنف حديثه وعينه على الطفل . . يقول صاحب الرسول (ص) ان لي صبياناً ولا اصنع ما تصنع ، فيقول (ص) من لا يرحم لا يرحم . . من يومها . . من يوم مولد الحسن وادب الاطفال يترصد شفتي رسول الله (ص) في كل مرة تحتوي عيناه جسد الحسن (ع) .

« من كان له صبي فليتصاب له » . ليس هذا تواضعاً بقدر ما هو ارتقاء . انه لقاء الرؤية

بـالفطرة ؟ . . كـانت الصبية بنت الحسين السبية ، تعثر باذيالها تقع وتنهض ، وتحاول اللحاق بالقافلة ، تكاد تضيع من عينيهـا القافلة ، لـولا انها ترى رأس ابيهـا يلوح فـوق القنـاة ، فتهتـدي الـطريق تتبـع فـاجعتها ، تقـع وتنهض ولا تجد يداً تـرفعهـا او من يهدىء روعها .

وعندما شع عنق « عبد الله» القا في وجه الشمس يـوم الطف كـان ناعـماً وعذبـاً يستحق قبلة من ثغـر طاهر . . فاتاه السهم .

لـولا الجهل ، لـولا الجاهليـة لحلت القبلة مكـان السهم . . لـطابقت الرؤيـة الفطرة ولكن الاعـراب اشد كفراً ونفاقاً . . الاعراب ليسـوا فقط اهل تلك البـوادي . . انهم اهـل حـواضـر العصـر وتـوابعهـا وضواحيها في ديارنا ، من ميتران الى اندروبوف ومن الاونـروا الى اليـونيسيفـ ، الم يشـاهـدوا طـراف الاطفال يموتون جوعاً من آسيا وافـريقيا . وهمهم ان يخفضـوا اسعـار النفط ليـوفـروا مـزيـداً من الـدفء لاطفالهم في مسابحهم الشتوية . .

في مثـل هذه الأيـام من العام المـاضي كان طفـل يقتعد الشارع العام في احدى مدن الجنوب في لبنـان اثنـاء القصف . . يضحك عنـدما يـرى الـطائـرات المغيـرة ويصرخ في وجـه المـارة اعـطوني ابي اعـطوني خبزاً ، اعطوني امي اعطوني ماءً . . في نفس الوقت كانت حكومة عربية تدشن قاعة للتزلج الصيفي على الجليـد مخصصة لـلاطفـال العـاطلين بـالـوراثـة . . وكـانت مظاهـرة حـاشـدة تخـرج في بلد عـربي آخـر احتجـاجاً على نتائج مباراة كرة القدم . .

يـا رسول الله . . اطلت سجـودك حتى لا تزعـج ريحانتك . . كيف لـو رأيته وهـو يقذف كبـده ؟ . . كيف لـو رأيت ابو عصـام شمس الـدين وهـو يقف على باب الملجأ المقفل في صيدا والنار تشتعل باطفاله وهم يستنجـدونه وهـو لا يجد الا البكـاء ، والقذائف تسقط حوله مثل المطر ؟ كيف لو رأيت العباس يعـد اطفـال الطف بـالماء ؟ يحمـل قربتـه ويذهب ويعـود بالقربـة فارغـة ويزداد الاطفـال ظمأً . . ؟ كيف لـو رأيتهم . . اثنان وسبعون كوكباً . . انطفأت في لحظة

واحدة . . يا رسول الله . . كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء .

الف واربعمائة عام . . نستطيع الآن ان نفلت من عيون العسس الاموي والأمن العسكري والأمن القومي . . نتسلل الى منزل محاصر في طرف من اطراف المدينة . . لماذا يحاصرونه ؟ خوف الاتصال بأصحابه ؟ ليحاصروا الشمس اذن ، ليمنعوا الكواكب ان تستضيء وتضيء. نطرق الباب . . من هذا الآتي الى حتفه في هذا الليل العربي الطويل؟ مولاي ابا محمد، ايها المجتبى أشكل علينا الفرع واشتبه الاصل . . اضىء ظمئنا فاغدق يضيء الفرع ويسقي الزرع . . ينقي الاصل ، ويقول الفصل . . امام قام او قعد . . وتعلو جبينه الوضاء كدرة . . يضغط ناحية الكبد إيه أخباركم ؟ . . قتلوا الصدر . . قتلوا الحسين قتل منهم مقتلةً عظيمة ثم قتلوه . . سفهت زينب احلام يزيد امام اهل الشام ثم غادرت لترعى السبايا ، قتلوا بنت الهدى . . مثلوا بجسد الحسين بعد مقتله ومثلوا بجسد الصدر

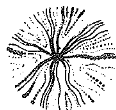
قبل مقتله .. اباحوا المدينة ، ولدت في المدينة الف امرأة لا يعرف من اولدهن ولم يبق فيها من احد الا قتل، دكوا الكعبة بالمجانيق قصفوا ديزفول بصواريخ الرفاق .. وسكتوا عن قصف بيروت .. قصفوها واباحوا كل المدن .. النجف وكربلاء والحلة وكابول .

وقصر شيرين .. وغيرها مما يستفظع التصريح به (واستعانوا بالقوات الفرنسية في حصار الكعبة ، واعتقال جهيمان ، وولدت في السجون الف عفيفة تعرف وجه من أولدها ولا تعرف اسمه لكنه يتكلم العربية بلكنة اعرابية .. اقترف سفالته وهو مخمور ويهذي بالوحدة والتحرير من الخليج الى المحيط .. يا سيدي تختلط الالوان ، يقف التاريخ على رأسه .. آخر الاخبار « شبث بن ربعي ، قتل بهشتي ومحمد منتظري ، واتفق مع طارق حنا عزيز على تحرير القدس بدأ من خرمشهر .. عفوك سيدي ، لماذا قتلوك وقد اعتزلتهم ؟ دعنا نتفق اولا ان العقيدة بحقكم وخطكم وعصمتكم راسخة .. نحن نفهم

من قول جدك (ص) امامان قاما او قعدا ، انكما معصومان قاتلتما او سالمتما انتما الدليل وفعلكما الحكم .. لماذا قتلوك ؟ يبتسم السيد السبط .. ولو ! لماذا قتلوا الصدر ؟ لماذا قتلوا عبد الصاحب الحكيم ؟ انهم يعرفون ان الاسلام نقيضهم سواء قاتلهم او سالمهم مختاراً او مرغماً .. يعرفون ان النار والهشيم اذا التقيا يشتعل التاريخ وتشتعل اصابعهم والسنتهم .. فلا بد ان يحولوا بين النار وبين الهشيم ..

سيدي آتيك من جمران .. هل من وصية الى جمران ؟ الزموا صاحبكم .. انظروا كيف يستودعه اطفالكم قلوبهم واحلامهم قلدوا اطفالكم ..

ولن يضيعكم لن تضيعوا بحضرته فهو الأمين المؤتمن ..



انت الاهل وعيناك الوطن

الى امام الامة

اراك .. يقترب الوطن الموغل في البعد ..

يأتي الاهل والاحباب الي كأن لم نفترق .. نلتقي بين يديك .. في عقدة ما بين حاجبيك ، نفترش عباءتك .. حدود عباءتك الدنيا ..

وهي .. « الدنيا » قبضة قلبك .. وقلبي لقلبك الرحب ترامى مقيلاً لكل المتعبين .

اراك .. ترخي عينيك في صدرك ، ينبجس نور

ما ، يأتي من جهة ما .

يحترق في الداخل منك شيء ، فترى . .
آه مدى عينيك . . . ونوافيك ، نذهب معك على ضوء عينينك . .

تأتينا الحال منك وجدا مشوباً بالوعي ، صحوا ، مشوبا بالوجد . . نهد وجداً وصحواً ووعياً في مدى حلمك .

اراك يسيل الدفء من راحتيك . .

راحتاك وسادة ، والتاريخ ، هذا الطفل المجلل بالشيب والحكمة على راحتيك يغفو ويصحو . . ويأتي الشهداء زرافات ووحداناً يغتسلون برذاذ الحب تنثره شفتاك .

شفتاك ورد وريحان ، وفرات ينهمر سائغاً عذباً من شفتيك ، ها هو « العباس » يحمل قربته ، و«سكينة» تنتظره مع الاطفال في «دزفول» .

الى اين تشخص ببصرك ، بعيدة مرامي عينيك وهذه القامة الرمح الى اين ؟ .

الى كربلاء . . ها هي كربلاء اتتك . . وها هو العباس قد وعد الظمأى بماء من شفتيك . . الى اين ؟ ونحن رهن لحظة من فرح تزهر في شفتيك بسمة . .

* * *

آه . . ولكنه يبكي . .

حبة ، جمانة تنحدر من المآقي ، لها طعم النار . .

ايها الناس ، يا اهل « جمران » ويا ضيوفها ، يا ايها المستضعفون : حطموا جرار الدمع ، فقد عراه الحزن الكربلائي . .

اتاه وفاء الفروع المثمرة لاصولها . .

يعقد ما بين الحاجبين ، يصوب الى نطقة ما في هذا الكون نظرة مسافرة .

قدروا اين ذهبت عيناه . . اين ذهب قلبه ؟ .

لقد لاح له على البعد ، على قرب قلبه فارس العدل والخصب مهدياً، آتياً على صهوة الشوق والتعب . .

تهلل وجهه فرحاً . . صار الدمع لآليء . . تبارك الله احسن الخالقين . .

نراك . . يعاودنا فرح آفل . .

اولئك الطغاة الجفاة البغاة ، سرقوا لون الفرح من اعيننا . .

سقينا لهم الارض دماً، وقلنا احصدوا . . حصدوا شوكاً . . وهربوا الى الشياطين ورد دمنا . .

نراك . . نستعيد الوداعة والدعة والالفة والإيلاف . . تعاودنا رغبة في الحياة . .

زمنك . . هذا الزمن الذي جئت فيه ، هذا الزمن الذي افتتحته . . يغري بالبقاء . .

قبلك كان العمر ثقيلاً وظلاماً . . كانت الارض وحدها ، وكانت طريق السماء مقطوعة بالحرائق واليأس والدخان . .

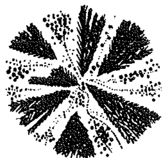
كان البقاء عبئاً ، وكان الموت رعباً وغياباً . .

وقد أتيناك . . صار البقاء عطاء، وصار الموت حصاداً وحضوراً .

* * *

نراك . . . يمتثل المقـاتلون لعينيك ، يـذهبون الى حيث تغمض عينيـك . . يستريحـون في افيـائهـا . . بين انهارها . . الى جوار الصديقـين . . دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً . .

* * *





تجليات العشق على باب جمران*

(١) صوت . .

هذا بحر وذاك هو الموج وانت النورس .

فاحزن ما شئت وطوِّف ما شئت فالبحر هو البحر ، وذاك الطافي عند منكسرات الموج هو الزبد ، وذاك الممعن في الأعماق هو الباقي . . .

(*) مكان اقامة الامام الخميني حيث يوافيه المستضعفون يومياً لا يمنعهم حر ولا قر . . في القر يعودون اكثر دفئاً وفي الحر يتبردون ان يغسلهم كلاماً وحباً ووعياً . .

فاختر ما بين السطح وبين الأعماق ، فتِّح عينيك لتختار . . أولا . . . فاعتصم الصمت أو باليأس ولا تلومنَّ الا نفسك .

(٢) سيدي . .

أنا اخاف الضواري وتخافني الأرانب والثعالب وفي صغري طاردت صغار الطير وازعجت السنونو ولي أعداء وأكرههم ولا أسمي الكره حباً . . . لا اعرف من أين تبدأ (الألف) والى اين تذهب ولماذا تكون الهمزة فوقها مرة وتحتها مرة وتهجرها مرة . . . وما اذا كانت تنحني أو تنام واقفة ؟

ما سكنت المسافة بين (الباء) ونقطة (الباء) ولا اعرف لماذا تستدير (النون) حول نقطتها ومتى تركع (الميم) بين (اللام) و (النون) .

اعرف أن (لا) للنفي والرفض والشهادة .

من دون ذلك لا اعرف سراً لحرف .

اعرف ان الحرف ، قصاريْ الحرف ان يكون جزء من كلمة وان الكلمة حبل مشنقة أو جزء من

آية . . وأن الحرف متىٰ ما كان حرفاً على باب الآية كان سراً . . وأنا فلاح اختزن الأسرار استبطنها لا أستنبطها ولا اصفها ولا امنحها أحداً .

لا أعرف للأسرار وصفاً ولو عرفت لبحت .

إني ادخل الآية من حرفها . . علموني ان ادخل البيوت من ابوابها . . . قالت الآية ذلك .

فمن أين ادخل بيتك ؟ اين هو الحرف بوابة هذه الآية ؟ .

كيف ادخل وهذا الثلج المتواصل يثلج صدر الفلاحين ويقتلني ، أيمنعني منك ونار قومي خامدة ! وأنا يغريني الدفء يغريني الوهج الآتي من عينيك . . .

سيدي قتلتني هذه الصحراء فراغاً ، فمتى آتيك وكيف ؟

(٣) مع الله او مع الناس ، ذلك دأبك ، فمتى آتيك وكيف ؟

اغري اطفالي بالنوم المبكر ، احرق كل ما لدي

من لفافات تبغ .

اغلق علي باب مملكتي ، لغتي ، وأتوسل اجمل المفردات . . . ولا تأتي ، امزق المسودَّة الأولى والثالثة والعاشرة . . .

تنفذ اوراقي . . أتسلل على رؤوس اصابعي الى حقائب اطفالي . .

أسرق دفاترهم المدرسية استبيح اوراقهم الصغيرة البيضاء . . .

ابحث عنك حيث وجودك احتمال . . .

وتمتنع علي ، لغتي لا تصل ، تصل اللغة الطفلة ، وأنا استقيل عجزاً .

(٤) مع الله.أو مع الناس تذهب اليه فيأتون اليك . . يذهبون اليه فتأتي اليهم . .

من لا يعرف طريقك الى الله لا يعرف طريقه اليك . .

ومن لا يعرف الطريق الى الله ، لا ينتظرك ، فلن تأتي . .

ينتظرك الفلاحون على الطرق المعشبة ، عند

معاقرة الأرض ، غبَّ المطر . . إبان صلاة السنابل وعناق الريح وتلويحة الخيزران ، عندما يذوب الثلج ، عندما يضيء البرتقال ويضوع السوسن .

ينتظرك الراعي مع ثغاء حملاته فجراً . .

والأمهات في أوليات الفجر وآناء الليل عندما يرضعن اولادهن . . أوان عروجك ينتظرك الأطفال على مفارق العمر ، عندما يكبرون باحلامهم ، يبلغون احلامهم واجسادهم بعد طرية .

ينتظرك الشهداء عند التحام السبابة بالزناد . . عند اقتراب الأرض من السماء ، عند غياب الرصاصة في الصدر ، عند ولوج الليل في النهار وولوج النهار في الليل ، عند اقتران الشهادة بالنصر . . عند انعقاد الحب في النوى عند انفصال الحب عن النوى ، عندما ينهمر الحب في القلب وينهمر الدم . . تشتعل اللغة ، ويستقيل الشعر ويطيع الجسد ويبدأ الوجد .

ينتظرك الفقراء في رائحة الخبز ولحظة الدفء

وسورة الحمد .

ينتظرك العارفون في مدى البصيرة والبصر ، أوان يلقون اثقالهم وخفافاً يصعدون. . وفي الجوار . . في الجوار ، على باب السر ، دون السر ، في اليقين ، في ظل اليقين تلتقون .

(٥) سيدي أحاول ثانية استدعي لغتي واعلن سيادتي على كل مفرداتها . . اواعدها عند بابك فلا تأتي . .

آمرها فلا تصل ، اغريها فلا تصل ، العنها فلا تصل ، اهجرها فلا تصل . . وليس لي اليك سبيل سواها .

سوف اعفيها وآتيك بلا دليل فلربما وصلت . .

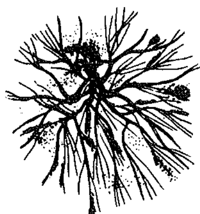
واقف عند بابك . اتخفف من وجهي ولون عيني ، احرق اصابعي اختزل حروف اسمي وسنيّ عمري واندمج في الآتين اليك، أضيع فلربما أطاعتني لغتي واستيقظت من غفوتي .

(٦) سيدي احرس بابك . . باب الناس اليك . .

واذا جـاءتني لغتي وارادت ان تدخـل اسألهـا عن حالها وأمنعها ولا ادخل ، ابقى على بابـك امنع غـير الشمس وغير العامة ان تراك . .

(٧) وهذا بحر وذاك هو الموج . . وانا الزبد . .
وانت الممعن في الأعماق وفي الأشواق . .
وانا اعتصم بالصمت فعسى ولعل □

* * *





حب خالص الى بهمن وقمر بهمن (١)

بمناسبة أعياد الثورة الاسلامية .

﴿ إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ﴾ .

يا أهل بهمن قبساً من ثلجكم أصطليه فقد

(١) بهمن «هو الشهر الحادي عشر من السنة حسب التقويم الهجري الشمسي وهو الشهر الذي انتصرت فيه الثورة الإسلامية في إيران على قوى الكفر والطاغوت وسلطة الشاة ومعنى بهمن الثلج .

قتلتني بـرداً شمس أهـلي ﴿ يـا نـوح إنـه ليس من أهلك ﴾ .

بلى يا سيدي .

وإليـك عـرقي ، إليـك هـذا النبض الكـاذب ، إليك شيخَ القبيلة وشعـرها وأوتـاد الخيمة . . إليـك ريـاح بني أبي ، إليـك سيِّـد الـوأد والغـزو ، إليـك داحس والغبراء واللات والعـزى إليك يعـوق ونسراً وبعثاً ونشراً .

اليـك لـوني ولتلوِّحني شمســك لتـوغـل أشعـة شمسك في القلب .

***

يــا أهـل بهمن . . هــل إلى حبِّكم من سبيـل ؟ وأغامر !

أحبكم وأغـامـر ، أحبكم وأمضي ، أمتشق دمي وأمضي . . أبالي ، لا أبالي ، بل أبالي « فـالجنة هي المأوى » .

أحبكم ؟ أقصـر عن حبكم ، أغـامـر وأحبكم ، تطاردني العيون المستـديرة ، يضبـطني حراس المـدينة

السكرى متلبساً بحبكم .

يتوعدني المحقق البدوي . . أو أحلف بالقرآن على البراءة من القرآن !! يا نسل العقارب !!!

* * *

مرةً . . رأيت ، فيما يرى النائم ، علامات شرف تلوح . . وتلوِّح معها منارة الأقصى . . أعطيت دمي . . أسرجت عينيَّ شمعتين ومضيت إثرهم . . ذر الدليل رماداً في عيوني . . عاث في دمي ، تركني عارياً أرتجف على قارعة الذئاب . . ومضى يستجدي وطناً .

عارياً ، عارياً وأموت برداً وغبناً وشوقاً وأتى بهمن . . أتى لون الورد إلى الخد

عاد القلب مزرعة للحب .

دنا الأقصى صار أدنى . . صار قاب قوسين أو أدنى . وسبحان الذي أسرى . . .

* * *

كان أبو ذر وعمَّار في زيارة لخرَّمشهر .

وابن أبي سفيان ينتقل من عاصمة إلى عاصمة

يغري عروبته بالرذيلة والنفاق والسقوط .

كاد الدم أن يصبح ماءً .

وتدفقت أسراب البوم والغربان على خرائب بيروت وتحولت حقول التبغ والقمح والزيتون في جبل عامل ملاعب للجرذان حزم أبو ذر وعمَّار حقائبهما وسافرا على أول طائرة إلى بيروت وعندما سقط أول قتيلٍ « للمارينز » في بيروت دارت الشبهات حولهما .

وعندما عبرا « الأوَّلي » إلى جبل عامل قرءا الآية : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ .

ومرَّا بسلام وبندقيتين وطلقات ورمانتين ورسالة . . .

لم تمض أيام حتى بدأت الجرذان تبحث عن ثقوب تأوي إليها لتتقي المصائد وما عاد الأطفال العامليون يكفون عن اللعب بأعصاب الجرذان .

عاد الدم دماً . . ارتدت العروبة في لبنان

إسلامها تمنعت وامتنعت به وصانت شرفها ، وفي تونس تخلَّت العروبة عن لكنتها الفرنسية ، عادت إلى لغة القرآن ، إلى القرآن ، وأعطت بواكير ثمرها واعدةً بالمزيد .

يا أهل بهمن . . هذا ثلجكم وهذا ماؤكم يسقي أغراس الرسالة على وسع هذه الأرض ومدى هذه الأمة .

يا أهل بهمن . . لا زلتم مغدقين .

❋ ❋ ❋

﴿ إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ .

أفراخ الشياطين عقدت خلوةً في الرباط . بعدما أعشاها نور القمر الساطع وأعياها تجواله أملاً في عيون المتعبين .

قررت صغار الشياطين أن تحبس القمر في طهران ، أن تقفل دونه الحدود . وأن تبيع بالمجَّان هلال منارة الأقصى .

ثم أغـدقت مدن المغـرب أهلها وانهمـر الدم . . تمايلت وتماثلت للسقوط شجرة خبيثـة غريبـة اجتثت من فـوق الأرض ، مـا لهـا من قـرار . . أطل فـرخ الشيـطان مـرتعـداً مهـزومـاً يلوِّح «بالقمـر» يتهمـه بالضياء ! وماذا يفعل إمـام الكواكب غـير أن يضيء ويطارد الأشباح العتمة في شعاب الأرض ووديانها ؟

يا حسن البريء من اسمه .

أتراها ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ؟

يـا أهـل بهمن سـلام لقمـركم . . لا يبخـل ولا يتعب .

سلام على نجومكم ترصع أرضنا وسماءنا .
سلام على نوركم يخطف الأبصار .
سلام يا أهل بهمن .

***

شباط (بهمن) ١٩٨٤

اثنتان وسبعون وردة

بهشتي . . اشرع ذراعيك فقد اسرجت دمي
منتـظري . . شاهـدوك على بـاب القدس تعـالج
اقفاله .

* السابع من تير - ٢٨ / حزيران / ١٩٨١ .
تتسلل افعـى من ثـقب في الـقلب ، مـن ثقـب
الرحمة والحب . . فح الافعى ظلاماً ويبقى القمر .

* * *

اثنتان وسبعون وردة كل وردة بستان ، ولكل وردة لون والاصل واحد والايحاء واحد ، لوحة . . .

قوس قزح . . باي لون تمسك ؟ .

من اين يبدأ خيط الرؤ ية ؟ والدائرة مغلقة ، اغلقتها الشهادة . . قاطرة الجنان . . من اين تبدأ ؟ كيف تختار ومن تختار ومن تغفل ؟ .

في محلول الشهادة تتحرر الاسماء من حروفها يتسامت الشهداء، يستوون ذاهبين في الاتجاه المعاكس لرياح الجسد في الخط الصاعد عروجاً حتى سدرة المنتهى .

***

بهشتي . . رأيتك اليوم ، رأيتك امس وسوف اراك غداً وبعد غد ، في فاصلة ما ، في فراغ ما رأيتك واشتهيتك ، اشتهيتك لي ولكل الموعودين بالمجد . . في الكلي وفي التفاصيل رأيتك غبار اقدامك ما زال في اول الطريق وصوتك لم يفقد

عمقه . . وجدتـك في الاصول ، في الجـذور . . في اسـاس العمـارة واركـانها ويستمـر البنـاء، يـذهب الصرح صعداً . . ويبقى مكانك شـاغراً نـذهب الى قبـرك ، نعيد الامثـولة ، نتمثلهـا حـرفـاً حـرفـاً . . ونعدك نفي ونغيض الاعداء كما كنت تغيضهم ، كما انـت الآن وتـبـقـى ، ونـبـشـرك كـلمـة الله هـي العليا . . . نضيف دمنا الى دمك ، يثمر الدم وتعلو كلمة الله . . . ايرضيك ؟ اذن نرضى . .

* * *

بهشتي :

انا في الرمادي وانت في الاحمر .

كان وجهك احمر ، شعرات الشيب في عـارضيك حمراء، كلماتك التي كنت تقولها ، خطابـك الذي لم تكمله ، الفقـرة الاخيرة كـانت عالقـة بشفتيـك . . حمراء حمراء . .

التراب الذي توسدته صار أحمراً .

وكـانت عبـاءتـك حمـراء، وزخـات الـورد التي امطرت نعشك حمراء .

انت في الاحمر ، تعابث زيتونة فـي الجليل نخلة في خوزستان تقول الزيتـونة للنخلة : لا تكـابري يـا ابنة عم ، لولا الاحمر لكان لسعفـاتك لـون آخر . . وعندما يجف الاحمر او يبخل سوف ترين كيف تموتين عطشاً حتى لو سقتك انهار الدنيا .

عندما انهمـر الأحمر في خـوزستان عـادت الخضرة الى النخيل عادت النخلة الى الاخضر .

انت في الاحمر والاحمر نسغنا وخضابنـا ، انت في الاحمـر وانـا في الـرمـادي . . الابيض ممنــوع عـلي والاسود مستحيل والحيـاد في الرمـاد فناء، والحضـور احمر ، وانا لا ارى، من يضيء لي ؟ .

من يفتح لي باباً ؟ مسافة ما في محيط الدائرة ؟ .

سـوف اجعـل من دمـك الاحمـر دليـلاً ورائـداً واتبعك ، كما يتبع الرضيع ثدي امـه . . علني اطلع يوماً خضرة في برعم . غضباً في عيني مظلوم ، ظفراً مدمى في رقبة ظالم .

اشرع ذراعيك فقد اسرجت دمي .

انبئني . . وانت المصدق فينا : هل يمكن لي ان ابلغ شاوك ؟ .

لو تطاوعني هذه الحروف كما طاوعتك نفسك . . ويأتي الأحمر ليأتي الاخضر وينتهي الرماد . .

* * *

السابع من تير . .
عندما تنحني سوق الحنطة من ثقل السنابل ، يبدأ فرح المناجل وتزدهي البيادر .

* * *

محمد منتظري :

تأتي سحابة مثقلة باوجاع الفقراء، مشبعة باحلام المستضعفين تسأل عنك ، فماذا نجيب ؟ نقول﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ .

نقول : انك فرع من تلك الدوحة . . والدوحة باقية ، تؤتي اكلها كل حين باذن ربها .

تهمي السحابة رضا ورحمة وحباً واملاً .

محمد منتظري .. شاهدوك على باب القدس تعالج اقفاله ، وكان خطيب الاقصى متأهباً لاستقبالك في المحراب المحترق ولم تصل ماذا كنت تقول للمصلين المنتظمين خلف امام الأمة في الحرم القدسي ؟ .

نيابة عنك سوف نقرأ الآية :

﴿ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ﴾ .

وبعدها .. وايدينا متشابكة نتلوا دعاء الوحدة . بين كل قبضتين متشابكتين سوف نترك مكاناً شاغراً لاصبع من اصابعك التي تناثرت في السابع من تير .

***

السابع من تير ..

سلام ايتها الكوكبة ..

عندما يطلق المولود صرخته الاولى لحظة الولادة. يعلن وجله وندمه على التصدي للامانة ، ينوء بالعبء وينهض وفي كل حال يأخذه التاريخ من

ايدي قابلته ، يصبح كائناً تاريخياً .

وعندما يطلق الشهيد شهقته الأخيرة يعلن الوصول ويغمض عينيه على فرح الوصول ، يغمض عينيه يوغل في الرؤ ية والكشف والدهشة . . كل انكشاف هو فرح ، فكيف اذا تراءت الجنة بكل ظلالها وهيبتها ؟ .

مع شهقة الشهيد يخرج الأنسان من اسر التاريخ يدخل التاريخ في اسر الانسان .

اننا نؤرخ بكم ولا نؤرخ لكم . . ايرضيكم ؟ .

اننا عنكم لراضون ، رضي الله عنكم ورضيتم عنه .



لقاء على رصيف الشهادة

الى الشهيد محمد صالح الحسيني

عامان . . اربعة وعشرون هلالاً وبدراً ومحاقاً .

محمد ما زال يطرق باب البيت .

يأتي كعادته ، على غير موعد ، هو الموعد .

لم نعطه عنوان بيتنا الجديد .

لم نخبره ، ان بيتنا ذاك الذي في جبل عامل قد صار محرماً علينا . . .

ولكن محمداً يعرف كل العناوين ولا يعترف بالحدود .

كان الاسلام وطنه ، ولم تمض ايام على نفيه الى لبنان حتى تحوّلت الهجرة الى حضور .

وكان يقول : ان لم نصل الى القدس فسوف تصل تل أبيب الينا ، وعندما وصل الى طهران ، اخذ يحزم حقائبه استعداداً للسفر الى القدس .

وعندما امتشقت طهران دمها نحو القدس .
خرجت تل أبيب من مخبئها في بغداد .
قال : انهم يبدلون علامات الطريق .
لتكن بغداد محطة وتبقى الوجهة القدس .
في الطريق بين طهران والقدس وبغداد .
سقط محمد صالح سقطوا في دمه .

***

عامان . . ثمانية فصول واربعة وعشرون شهراً .
محمد يطرق باب القلب ، رفقاً بقلوبنا يا محمد
لماذا هذا الاصرار على احتلالها ؟ .
مكتوب على هذه القلوب ان يحتلها الشهداء

مكتوب على هذه الأرض ان يدنسها الدخلاء .
اسيرة هذه الارض .
ومكسورة هذه القلوب . . كسرتها يا محمد .
كسروها . . بهشتي ، مطهري ، محمد منتظري ، رجائي ، باهنر . . العباس ، القاسم ، زينب ، سكينة ، شظايا ، شظايا قلوبنا وما تبقى طحنوه في صور ، وصيدا ، وصبرا ، وشاتيلا . .
والأخوة هم الأعداء . .

آه ، الاعداء الأخوة يا محمد . .
انت ارتحلت دمك ، طاوعك دمك، ونحن يحاصرنا دمنا انت توظأت بدمك ، ونحن نستقيل من دمنا .

***

عامان . . خالد الاسلامبولي الى المشنقة .
وآرييل شارون الى بيروت

خرمشهر حرة وصيدا مستباحة ، وبغداد قلبها ينبض خارج صدرها .
ومحمد يكسر باب الذاكرة .

يترجل من صورته الملونة

يمسح آثار النعاس عن عينيه

يصلي ركعتين ويدعو لظهور المهدي وحفظ الامام
ويجلس معنا ليتناول طعام الفطور .

كان يحب الزيت والزيتون والفقراء والزعتر
والبرتقال

يأكل البرتقال بشهية عارمة .

ويتذكر ايام النجف . . ايام كان البرتقال
كالحرية حلماً مستحيلاً .

يأكل البرتقال . . ويناضل

ويدمدم . برتقال يافا الذ واطيب

لا بد ان تأكل برتقال يافا في يافا

ان برتقال يافا اذا سافر فقد نكهته .

لا بد ان تذهب اليه .

يا محمد برتقال يافا اتانا ولم نذهب اليه

انه يباع الآن في قاهرة المعز وجبل عامل بالعبرية

لغة وعملة والعربيـة عاميـة وفصحى عرتهـا اعراض اللكنة

والعروبة تزجج حواجبها تكتحـل بالنفط تـرتدي الدولار وتتخلع اغراء لصهيون

بـادلنا بـرتقال يـافـا بـالأرض والسـلاح واجسـاد الشهداء

ورؤ وس الاسرى والمصير .
انت ارتحلت دمك .
ونحن نبرأ من دمنا .
انت انتميت الى دمك .
ونحن نستقبل من دمنا .
دمنا مصل . . والغيرة والنخوة . كلمات كلمات

* * *

عامان . .
ومحمد مرتاح في جنته
لاشغل له الا ان يشاغلنا
عد الى جنتك أبا احمد
واستمتع بثمرات دمك .

رمانا وزيتوناً ونخلاً وظلالاً وعيونا
دمنا عقيم لا يزهر
وان ازهر لم يثمر
وان اثمر فصابا وصديدا وغسلينا
عد الى جرحك الذي يجري بين عينك . .
عسلا . . سلسبيلا
جراحنا ملح وخل
واحزاننا خمر . . والاخوة الاعداء نشوي

قل للورد الذي ينمو على ذكراك ، ان لا يمعن في الفتنة

نحن قوم نقتل الورد نغتال البراعم في الاكمام ، قل للمعطر الذي يضوع من قبرك ان لا يمعن في احراجنا ، نحن قوم تفوح من اعطافنا رائحة الدنيا .

* * *

يا محمد . . عامان وانت شهيد وانا شاهد
فمن منا اولى بالحزن على الآخر ؟
اولانا بالحزن اولانا بالفرح

قليلاً من الحزن علي يا صديقي .

اولا . . دعني اعتذر عن هذا الاغـراق في اليأس والـوجـع . .

فقـد كنت استعرض عـروبتي . . ابحث عن حيـز في جسمها طاهر فلا اجـد . . واغضب ولا يبقى الا الجنون او الانتحار.

دعني اعتذر واعدك بالفرح . . فقد تحطمت بقـايا اللات والعزى ومناة الثالثـة الاخرى . . . والخميني، يمضي في شيخوخته .

يمضي في شيـابه ، يمضي في ألقه الـرسـالي . . ويعد ودفق من الفرح ينهـل كل لحـظة من جمران الى خوزستان ، تلوح من خلاله قبـة الاقصى . . ونحن نجدد وضوءنا كل لحظة على يقين الوصول .

« انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً » .

* * *

كشف اللثام في سر الاعتصام

* ١ *

عم مساء ابا ذر

ارفعوا اصواتكم كي لا تضيع.

حق وقوة، تلك هي معادلة العدل.. والا والحق ضائع والقوة غاشمة.

عم مساء ابا ذر.. حسناً حسناً.. الآن يأتي الصدى.. ناراً يأتي.. حصاراً يأتي..

وجوه تغيب .. جراح تتفتح .. يهطل دم مبارك.

ويكون مهرجان، سيوف، وبنادق، ودم.

انصار والربذة[1] ... تظاهرة، اعتصام، تظاهرة، اشتباك، اعتصام، كمين، تظاهرة .. جرحى وشهداء واسرى .. شيوخ واطفال ونساء.

نهر من الدم طميه حرية وسلام وكرامة وصلوات ..

اجمعوا هذه السيوف الطافية على وجه الدم، وتلك البنادق والرصاصات والعصى و المدى والخناجر، قبل ان تذوب في هذا الدم. ادخروها لزمن يأتي، فما زالت الذئاب والافاعي تتوالد .. الطريق طويل فلا تستوحشوا ..

اتقوا الله .. لا تهنوا ولا تحزنوا .. انتم

---

(١) انصار المكان الذي يعتقل فيه الصهاينة عدة آلاف من المجاهدين المسلمين، والربذة منفى «ابي ذر».

الأعلون . . وعمتم مساءً يا اهل عاملة (٢)

الى اين يا أبا ذر ؟

ارفع التقرير الى صاحب الزمان . . . ومن بعده الى نائبه في طهران .

* ٢ *

وكالات الانباء العالمية

جبل عامل - اوائل الربيع

يجمع المراقبون هنا على ان الشيخ « راغب حرب » وسائر المسلمين في قرى جبل عامل ومدنه يتلقون الأوامر والتوجيهات من رجل حجازي معروف بالغفاري ، يتظاهر بالعمل في زراعة الحنطة والتبغ والزيتون ، ويستدل من تصرفات الرجل والشعارات التي يطرحها انه « راديكالي » وذو مزاج ثوري حاد، وله عادات غريبة فهو لا يأكل الا وجبة واحدة في اليوم وصنفاً واحداً من الطعام

---

(٢) جبل عامل منفى «ابي ذر» الاول .

غـالبـاً مـا يكـون من الشعـير . . يكـره السلطان واصدقاء السلطان . . ويتجهم اذا رأى « برجوازياً » او اقطاعياً ، ويسميهم طاغوتاً وطاعوناً ويقضي سحابة يومه في رعاية اشجار الزيتون وتشذيبها مجاناً .

ويقول المحللون السياسيون هنا بأنه لا مجال للسيطرة على الوضع الا بطرد هذا الرجل ولكن سلطات الاحتلال والسلطات المحلية تجد صعوبة في القبض عليه . . لأنه سرعان ما تختفي آثاره . . واذا ما تم القبض عليه ، وهذا بعيد ، فان اهل المنطقة يمكن ان يتحولوا الى ثورة عارمة يصعب السيطرة عليها . . ويؤكد البعض انه لا سبيل للخلاص ! الا بافراغ جبل عامل من جميع سكانه . . وتقول الاوساط الدبلوماسية الغربية القريبة من السلطات العربية الحاكمة . . ان هذا الحل يحظى برضى الحكام العرب جميعاً واجمعين واكتعين وابصعين . . . من المحيط الى القصور ومن الخليج الى العروش .

والى عرب الخليج والجنوب .

الى كل عربي يحاول المستعمرون قهره .. امجاد يا عرب امجاد ..

* ٣ *

ـ صباح الخير يا جبشيت البهية .
صباح الشيخ يا حلوة.
ـ هل لك في كأس من حب في ظل شتلة تبغ ؟
ترتدي جبشيت اهلها ...
كلهم يأتون .. كالسواقي يأتون .
: قفوا من انتم ؟
ـ نحن الشيخ راغب حرب ..
: ومن هو الشيخ راغب حرب ..
ـ هو نحن .. الكل في واحد .. والواحد في الكل .
ـ تلعبون باللغة ؟
ـ لا .. بدمنا ..
ـ متى تنتهي اللعبة ؟
ـ عندما يأتي الشيخ راغب حرب ..

تعتريني الضيعة والاهل والشيخ راغب

سطح القبو .

قال احمد الحاج عباس[1] لاحدى قريباته مرة : « والله يا قرابتي اني ما زلت مثل الحديد لولا هذا الديسك الملعون في ظهري » واخذ يلعن الصخرة الجاثية أمام باب منزله والتي تعترض طريق السالكين

---

(١)احمد الحاج عباس من آل نحال ولكن اسم العائلة غير متداول فى القرية القليل القليل من الناس يضاف اسم العائلة الى اسمائهم .

الى سطح القبو . . كبيرة ، ملساء وسريعة الانحدار تسببت في كسور ورضوض لكثير من العابرين والعابرات .

اذا ما تجاوز العابر الصخرة انفتحت امام الطريق باتجاه «عين الملاية والجبانة» واذا انعطف قليلاً نحو اليمين، تلقاه سطح القبو او سوق العصر . .

***

ـ مساكم الله بالخير .
ـ يسعد مساك . . حوِّل .
ـ لا ، مستعجل .
ـ العمر ينقضي والشغل لا ينقضي حوِّل .
ـ ابحث عن حسن قاسم بكرى نفتح المشتل ونريده لتقطيع « المتراح »[٢] .
ـ ما شاء الله ، استوى مشتلكم ؟

---

(٢) نفتح المشتل يعني ان شتلات التبغ قد اصبحت جاهزة لأن تقلع من المشتل وتزرع في ارضها . . وهذا يقتضي ان تقطع الأرض اثلاما متوازية ومفتوحة قبل يوم من موعد الزرع . والمتراح اسم مكان في القرية .

ـ . . . عندنا يومان « ديفورة »[٣] .

ـ حوِّل . . حسن قاسم في جل الخلة . . يأتي .

ـ دائماً في جل الخلة . . كأن هذه الأرض عشيقته .

ـ لازم ان تغار زوجته .

ـ الرزق عزيز . . ومتى كانت نساؤنا تغار من الأرض ؟

ـ ولو فاطمة بنت عباس حسن لا تذكر من مرضها الطويل ما لاقته من شدة ، تذكر بحسرة كيف اضطرت لبيع الفسحة .

ـ ابن مصطفى حسن محمد كان يفتش عن اعشاش الحساسين مع رفاقه وعندما وضع احدهم قدمه في تراب « الخربة » صاح به : ارجع . . هذه الأرض كانت لنا .

---

(٣) الشتلات التي تؤخذ اولا ومبكرا تسمى ديفورة بعد زراعتها يحتاج المشتل الى انتظار عدة ايام حتى يتواصل الاقتلاع منه والاستمرار في الزراعة . . وكل ما يبكر من ثمر (تين وصبير وعنب) اسمه الديفورة .

ـ عندما يبيع الواحد منا بقرة لآخر يصبح المشتري كأنه صهر البائع . . فكيف بالأرض ؟

ـ الشيخ علي نصور يشتغل في الخماعية وكأنه يربي يتيما . . حتى الصخرة يقلعها برفق وحنان .

ـ ام مصطفى لا تعتني بنفسها بقدر ما تعتني « بالحقولة » و « قلعة اسكندر » .

ـ عباس علي قاسم حوَّل جلالي عين الكروم الى عرايش ؟ ولكنه مبتئس جدا ، لأن اولاده لن يرعوا ما انجزه .

ـ الحاج محمود ، يحمل الحجر من طرف الدنيا حتى يسيج به « الخماعية » .

ـ الآن لو جاء احد يخطب بنتك يا سيد موسى عنتر ويعطيها مهرا خمسة الاف ليرة وما اعطاها ارضا هل تعطيه ؟ هل تقبل ؟

ـ لا انا ولا هي . .

ـ بيت احمد حسن عاشوا على حافة الجوع وما باعوا قطعة ارض . .

ـ لو كانت نساؤنا تغار من الأرض ما كانت تصر

على ان تكون مهرها . . اقارب . . اقارب . . نحن والأرض والنسوان . .

ـ يا لله مسيناكم . . طلع صوت حسن قاسم . .

* * *

. . . كل بيوت الضيعة ، اسقفها ارضياتها جدرانها ، من تراب ، إلا سطح القبو . فهو من حجر كلسي ابيض وصلب « فرس » لا يوحل شتاء ويحتفظ بشيء من الزهو صيفا وبعض الغبار . . ويجذب . الأبيض جذاب ، في الضيعة يغنون للأسمر ويتلهفون على الأبيض فالأرز ابيض والسكر ابيض والقمح الأسمر يصبح ابيض بعد الطحن ، والقلب أبيض والثلج ابيض والكفن ابيض . . وهم سمر . .

يوسف الحاج محمود كان عليه ان يوسع بيته ، لأن الماعز والبرد لا يتفقان ، يلاحظ الرعاة ان الماعز تتأخر في العودة من مراعيها في بعض ايام الصحو اثناء فصل الشتاء ، واذا ما حاول الراعي ارغامها

تتشبث وتستمر في الرعي ، فيتركها الى ان تمتليء وتعود طوعاً ، وعندما يعود الرعاة بماعزهم متأخرين عن اوليات الليل ، يفهم الجميع ان الغد ماطر لأن الماعز تصر على الامتلاء احتياطاً للمطر الذي يحبسها عن الخروج . . وهي تشمه . . تشم المطر . . اما الشباب فقد اكتشفوا طريقة لتضليل الكلاب البوليسية وهذا ما يثير اعصاب الخنازير . . المعاز واولاد المعاز محسودون على ما يتوفر لهم من الدفء شتاء نتيجة تقاسمهم المأوى مع الماعز .

وسط القبو هو سطح بيت يوسف الحاج محمود . . يعلو عن مستوى الدرب اكثر من ذراع متيحا للعابرين ان يرتحلوه وارجلهم مدلاة الى الأرض ، كأنه كرسي او صف كراسي متصلة . . أما الزبائن المداومون فانهم يتربعون على السطح اشعاراً بجلسة اطول . الا اذا اتى احدهم مرسال . . او دعاه صوت من بيته القريب الى شأن ما . .

***

ـ كانت ام محمد زوجة أحمد الحاج عباس

بنت السيد عبد الله جواد غارقة في حديث مع الحاجة نورة عن العريس الجديد الذي جاء يخطب ابنتها عندما تناهى الى سمعها صوت ابنتها شفيقة تدعوها الى المنزل .. ردت ام محمد على ابنتها مستاءة وقالت : الله يخفي هذا الصوت .. فهمت ان مشتريا جاء يطلب مدقة لحم خشبية قامت غاضبة متثاقلة تشكو بلواها من ابن الحاج عباس الذي ـ على حد زعمها ـ لا يشتغل الا في البائد من الأعمال والتجارات ، تجارته « البرزق » ثمر البطم و« السماق » والمدقات وعصي المناكيش والقداديم وبلاطات الكبة وما اشبه .. كل شهرين او ثلاثة يركب بغلته ويذهب الى القاطع او بلاد الشوف ويأتي ببضاعته فيرميها في البيت ليبدأ بلاء ام محمد وعناؤها مع النسوان المشتريات .. وكثيراً ما باعت كيلو السماق بسعر كيلو البرزق او كيلو البرغل الناعم بسعر كيلو البرغل الخشن (الفلفلي) او عصا لقدوم بسعر عصا المنكوش .. لا هو يعرف الكتابة حتى يكتب لها ولا هي تعرف القراءة حتى تقرأ او تكتب الأسعار ... الوحيد الذي يحسن القراءة في

الحارة هو محمد علي باقر . وهو مقيم في دكانه في ساحة المصلى . وعباس احمد خليل - والد الشهيدة خديجة عطوي - وهو مقيم في بيروت (عامل في المينا) . . .

قالت بهيجة مهدي ، وهي تمج سيكارتها بمهارة رجولية . . عجلي يا مسكينة ، لا تتأففي والا تزوج .

زمت ام محمد شفتيها علامة عدم الاكتراث وقالت : يا راحتي يا فرحتي . . التفتت بهيجة مهدي الى الحضور التفاتة معلم وقالت ممعنة في النكاية والتحريض : انا متأكدة ان عينه على واحدة من اهل القاطع (قاطع نهر الليطاني المرشح لأن يسرق اليهود مياهه السائبة) . . ارملة وما عندها اولاد . . وغدا نرى عندما تأتي راكبة خلفه على البغل ماذا ستفعلين ؟

شعرت ام محمد بالجد . . ومضت لشأنها قائلة : والله اخنقها واخنقه .

***

انتهت ثورة عام ٥٨ في لبنان بصفقة (عربية ـ امريكية) صار بموجبها فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية بعد انتهاء مدة كميل شمعون (الانجليزي) وكان عهد الانجليز قد ولى واعلن ايزنهاور مشروعه بملء الفراغ . ودخل الريف اللبناني عهد الشركات الأمريكية . فشقت الطرقات وجيء بالكهرباء والتلفزيون والثلاجة والبان (الهايلايف والفورموست) والجبنة الدانمركية وجبنة كيري (البقرة المقهقهة) . . والبيض الزراعي الأحمر . . الخ . . باع يوسف الحاج محمود قطيع الماعز وارسل ابنه البكر محمد الى بيروت فتعلم صنعة وصار يبعث لهم « مصاري » فلوس . . وانتهى عهد سطح القبو . . فقد مل ابناء يوسف الحاج محمود وبناته رائحة الماعز . . هجروا البيت التحتاني وبنوا شقة حديثة فوق سطح القبو . .

* * *

بعد اربعين الشيخ راغب حرب كان لا بد من اغتيال جبشيت . . . دوهمت . . . بالدبابات ،

واجهها الجميع بالصيحة المزعجة « الله اكبر » « ردوا بالرصاص . . استشهدت صبحية اخضر وحسن حرب . . وجرحت خديجة عطوي ، حملوها بالسيارة الى النبطية ، في الطريق اوقفهم الحاجز اليهودي . . نادوا طبيباً ، كانت خديجة تنزف . . عرفت ان الطبيب يهودي . . اشارت ممانعة . . حدث الضابط اليهودي، رأى عباءتها السوداء دمدم : خميني . . خميني . . لا يحب يهود ». . يموت . . يموت ممنوع النبطية . . ظلت تنزف . . ماتت. اعادوها الى بيتها المقابل لسطح القبو . كان البيت فقيرا وضيقا . لم يتغير . . فتح يوسف الحاج محمود بيته لاستقبال الناس المعزين . . دخل الناس كل الناس. . اجتمعوا على سطح القبو. الذي كان سطح القبو . . اجتمعوا تلك الأمسية . . كانت شديدة الظلام . . وكان المطر غزيراً كالرصاص. في الصباح دفنوا خديجة التزاماً بوصيتها الى جوار قبر الشيخ راغب حرب قرب « عين الملاية » التي يطل عليها سطح القبو من اعلى . . كانت عين الملاية

❋ ❋ ❋

يومها في موسم فيضها وفرحها .

كان صاحبي يشكو لي غلاء السيارات الأجنبية . ويستعجل نهاية الحرب ومباشرة القطاع الخاص التجاري نشاطه ، وكنت اتواضع واظهر زهدي وان كنت اشاركه بعض احلامه . لا كل احلامه . حانت منه التفاتة الى صورة معلقة على الجدار . . قال : من هذا ؟ كان في الصورة ـ وهي فوتوغرافية بالطبع ـ يركب حماره ومن حوله اطفال الحارة يعاكسونه وهو يغضب ويصرخ في وجوههم ويغالب بسمة تأتي من اعماقه عادة في هذه الحالات .

قلت : اترى اليه ؟ انه ابي وانا ابنه وابني حفيده وهو جده . ما ابعد الليلة عن البارحة ؟ وما ابعد البارحة التي برحت قبل البارحة عن البارحة ؟

كنت عندما اعبر ازقة الضيعة ذاهبا الى شأني في مطاردة صغار الحساسين ـ ربيعاً ـ امسي على العجائز المتربعات على مصاطب بيوتهن . كان بعضهن يرد ويسأل : ابن من ما شاء الله ؟

يجيب من يكون فتيا حاضرا : ولو انظري يشبه

من ؟ انه يشبه اباه . . فلان .

غادرت القرية طلبا للمعرفة . . من يومها بدأت الاحظ ان الشبه بيني وبينه يضيق وان الفوارق تزداد وتتسع . . (بسبب اختلاف انواع الغذاء ربما) .

ما ابعد الأرض عن الكتاب . . هناك خصب مطلق وهنا خصب محتمل مرصود بالجدب الا اذا تواصل مع الأرض ، ويبقى اقل عطاء منها في اي حال . . استشهد راغب حرب . وبلال فحص . . بلال بالكاد استطاع ان يكتب وصيته وكان دمه ابلغ . . اما دم الشيخ راغب فحدث ولا حرج . . واما انا فما زال قصاراي ان اكتب بعضا من دمها . بعضا من الأرض . . من الحندقوق . والنرجس . . وكل الأعشاب الصلبة . الناعمة . الفواحة . التي نقيعها يفتح الشرايين ويريح الأعصاب ويذكر بالأماسي الغنية .

ما ابعد المحراث عن القلم ؟

سألته ـ ابي ـ مرة لماذا يتأفف عندما تكون نوبة الحراثة لقطعة من الأرض ويستبشر عندما تكون النوبة لقطعة اخرى ؟

قال : انا هنا اترجم ما قاله ـ ان الحراثة فعل تعاون وتكامل كالتكامل الاقتصادي بين الأقطار العربية بين الفلاح والفدان والمحراث والأرض . . الأرض الطيبة تساعد المحراث وباقي الأطراف التعاونية الأرض ، تنفتح . . لا تمانع . . تنفرج ، تضحك ، تعد . . تنتشي . . يغوص المحراث برفق ويكون الخصب . . اما الأرض الصعبة التي تكون « محصبة » بالحاء المهملة غير المعجمة حتى لا تقرأ مخصبة من الخصب فهي من الحصى والحصى يعيق المحراث ويضيق على البذور ويدمي قدم الفلاح وايدي الحصادين ـ والأرض التي مضى عليها زمن طويل وهي بور هذه الأرض تعاكس المحراث فيشقها عنوة . . وقد تحتاج الى الحراثة اكثر من مرة قبل ان تزرع . . تحتاج الى اعادة تأهيل . . ومن هنا ما تسمعه من ان « سكة » فلان انكسرت . . معنى ذلك ان ارضه صعبة . . بعثت له ذات يوم من البعيد اقول : احاول ان اكتب عنك ولا افلح ومع تباشير كل فجر اكسر قلمي ـ مبالغة ـ واقول غدا ، لماذا انت صعب هكذا ؟ رد علي بشريط مسجل . .

تجاهل مـا قلته لـه وسألني عن صحـة الامام الخميني ودعا الله بالنصر للامام ولي . . مفترضـا ان أحلامي هي أحـلام الإمـام (ان أحـلامي هي بعض أحـلام الامام وبعض احلام صديقي الذي يحب السيـارات الأجنبية) .

وحكي لي عن الحاجة ام علي رضا وانها كانت تخاف من اليهود قبل مجيئهم وتتصور ان جسمها سوف يتفكك وحـده عندمـا ترى وجـوههم . . . وعندمـا وصلوا لم تعد تخافهم . . . غسلت بيـديها جثمـان زوجة عمي داود وصاحت في وجه اليهـود باللعنة عندمـا اصروا عـلى فتح البـاب حيث كان الجسـد المسجى والرأس المختـرق بالـرصاصـة اثناء الغسـل . . ليعرفوا مـاذا يدور في هذه الغرفة المغلقة . .

قـالت : بلاحياء اذهبـوا . . لا تخـافـون الله ؟ حرام .

في اول يـوم لـدخـولهم اغتسلوا عـراة عـلى عـين الضيعة ، عـلى قـارعـة الـطريق . . قـال لهم بعض الـوجهاء : عيب لا يجـوز هذا . . قـالوا نحن نـدير

ظهرنا فأين العيب ؟ اما الآن فانهم لا يجرأون ان يديروا ظهرهم لطفل .

في آخر الشريط بكى ابي شوقا الى اطفالي . . ثم انفجر بالبكاء وهو يردد بحروف متقطعة : مات الشيخ راغب يا ابني .

من هو الصعب ؟

من كسر المحراث ؟ محراث من الذي انكسر ؟

هل كان جسده ارضا بورا ؟ كان ارضا بكرا . لم يخرجوا الرصاصات من جسده . .

وجسده . . صعب وخصب . . ما زالت الرصاصات تتوالد . .

سلام يا شيخ راغب : انا مشتاق اليك وسوف انتظرك على سطح القبو . . او على باب الأقصى . ولسوف الثم لجام فرسك . واقدم له شعيرا وشعرا ونثرا وحبرا وورقا ابيض وكتبا ومصادر ومراجع ودراسات استراتيجية وبرامج سياسية وبيانات عسكرية ومحاضر جلسات الوحدة العربية ومذكرات دايان ووايزمان عن كامب ديفيد ومجلات اسبوعية

وصحفا يومية ودفتر تلفوناتي ومذكراتي ومواعيدي مقابل قطرة من دمك .

آخر الأخبار ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ .

استيقظ اهالي جبشيت على صراخ غريب وعصبي . . رأوا نارا تلتهب . . قرب قبر الشيخ راغب حرب .

صباحاً طرق الجنود اليهود باب منزل الشيخ راغب حرب ، فتحت زوجته قالوا : اين الشيخ ؟ قالت : قتلتموه. . قالوا : لا . . امس ليلاً قام من قبره اطلق قذيفة « آربي جي » قتل اثنين من جنودنا . . واحرق الآلية واختفى . . نريده . . خبأت بسمة وحسرة . . غادروا المنزل وهم يدمدمون: حسنا سنحفر القبر ونعاقبه (٤).

* * *

« وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل

---

(٤) هذا ليس خيالا ولا افتراضا ولا حلما بل هو خبر متواتر عن اهل جبشيت المعروفين بصدقهم خاصة فيما يخبرون عن رعب اليهود وجنونهم .

الأرواح في الأجساد ومن هؤلاء ارباب الهامة[٥].

وقالوا : ان ليلى الأخيلية لما سلمت على قبر توبة بن حمير خرجت اليها هامة من القبر صائحة افزعت ناقتها فوقصت بها فماتت » .

وقال بعض الشعراء :

« ولو ان ليلى الأخيلية سلمت
علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقى
اليها صدى من جانب القبر صائح »

وقال الشاعر « وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر » .

واخذه البلاغيون مثالاً للكلام غير الفصيح لعدم التلاؤم اللفظي وعارض في ذلك عبد القاهر الجرجاني .

---

(٥) الهامة ـ رأس كل شيء . . وطائر صغير من طير الليل يألف المقابر وقيل هو الصدى الطائر الذي يخرج من رأس الميت في عمهم (اقرب الموارد) .

ويقول الشاهد يمكن ازالة هذا الخلاف بين البلاغيين لو صار البيت هكذا :

وقبر حرب بمكان «مغر»

وصار قرب قبر حرب قبر
وقام قرب قبر حرب قبر

ان قرب قبر حرب قبرا . . قبرين ، قبورا ، ثلاثة ، الفا .

و «لا نبالي ما دمنا على الحق وقعنا على الموت ام وقع الموت علينا » .

يعيش الشيخ راغب حرب .
يعيش بلال فحص .
يعيش الفقراء الشهداء . . . يسقط هذا وهذا وانت وهو .

« هناك اغنياء حرب فكرياً وسياسياً واعلامياً ومالياً». ومنهم من يجمع هذه الصفات معا .

تسقط كل الوجوه الملمعة ، تسقط كل

المســاحيق . . يسقط انــا ونحــن . . يعــيش هم ، يسقطُ بناية ستاركو ، يسقط السان جورج والفينيسيا والريفييرا سنــتر وبرج المـر وبرج رزق . . . ويعيش سطح القبو . . يعيش الناس .

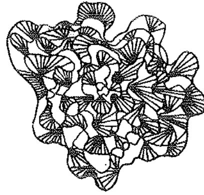
(طهران ـ ١٥ ايلول ١٩٨٤) .



: وتنتهي ؟

ـ ينتهي فصل . . تبقى فصول !!

الفلاحون لا يغادرون حقولهم حتى تغـادرها آخـر جرادة .





رسالة مهربة

* من زيتونة ست الكرم في جنين الى تالة[1] ام الجريد في خرمشهر : سلامنا الى الجذوع الراسخة ، والسعفات الخضر ، والقطوف الذهبية ، الى كارون وكرخة وبهمن شير[2] . . . الى المستظلين بـالأفياء آناء القيلولة وعيونهم على الشمس ، مطلعها ومغيبها

(١) فسيلة : النخل .

(٢) اسماء انهار في خوزستان .

وقلوبهم على الأمة ، الى البنادق الجاهزة المستريحة ريثما تعود الى ترانيمها .

من طرفنا كان موسم الزيت شحيحاً هذه السنة ، عبأنا الدم بدل الزيت في الجرار ، بللنا التراب بالدمع طلينا الجرار حتى لا يفسد الدم .

* * *

احوالنا ماشية . . . الجميع يشتغلون ليلاً نهاراً في جمع الحجارة وصقلها .

في مواعيد الحجارة عندما تمطر الأرض حجارة ، يخرج الجميع الى الشوارع . لو كنت هنا ورأيتهم وهم يتدفقون حجارة ، لقلت صارت الحجارة بشرا ، أو صار البشر حجارة .

لقد اكتشفنا لطول عشرتنا وحوارنا مع الحجارة ، ان حجارة بلادنا بامكانها ان ترى وتتكلم ، نرسم للحجر عينين وشفتين ونقول له انطلق على بركة الله ، ينطلق نحو الهدف وهو يهتف « الله اكبر » .

* * *

يقـول عمي الحاج عنـاد : ان منظر النـاس وهي منهمكة في جمع الحجارة ليلاً ، يذكره بمنـظر الحجيج في « المـزدلفـة » ليلة عيـد الأضحى ، وهم يجمعـون الحجارة لرمي الشياطين . . يعلق الحـاج عناد ولكن شياطين «منى» مستكينة، لا ترد ، بينـما الشياطـين هنا تملك بنادق اوتوماتيكيـة . . تطلق الشيـاطين النـار ويسقط جـرحى وشهداء . . يـرفع النـاس شهداءهم فـوق الأعناق والقلوب فـوق الهتاف ويهتفـون معـا : الله اكبر . . . تأتي ام الشهيـد تولـول تنظر الى وجـه ابنهـا ، تقبله ، تمد يـدها الى ثـوبهـا لتشقـه ، فجـأة تتراجع ، وتصمت قليـلاً تنظر في البعيـد تعلو جبينها اشراقة، تلتقط حجراً تهتف الله اكبر . . تطلق الحجر . . وينهمـر الرصـاص يسقط جرحى وشهـداء . . وتأتي الأمهات . . دائماً تأتي الأمهات . . . يلدن ويأتين .

***

أخبـرك : بنت عمي شهيـدة زفت لابـن اختي شاهد . . . كان مهرهـا الف حجر ، اشتـرطت امها ان تكون الحجارة كلها مسننة .

وزعوا في الحفلة حصى ملفوفاً باوراق الليمون وشربنا جميعا شراب الصبر ممزوجاً مع نقيع الحجارة[1] .

***

أمور كثيرة في ضيعتنا تغيرت ، والحجر هو سيد الموقف بعض الشباب كانوا يقولون بان الحجر لو رشح لمنصب مختار الضيعة لفاز بالأغلبية الساحقة من الأصوات، خاصة اصوات الأطفال ، الذين لم يعد من الممكن الاستهانة برأيهم ، لأنهم يتقنون فن رمي الحجارة .

اكثر الناس غبطة هذه الأيام هم الرعاة ، لأن عملهم يؤهلهم للتصويب الدقيق بالحجارة ، ولذلك ينتظرهم الأطفال في مواعيد عودتهم من البرية في ساحة العين ليتدربوا على ايديهم . في الماضي كانت قيمة الانسان في بلادنا تقاس بما يملك من دنانير ، أما الآن فقيمة الانسان تقدر بعدد

(١) الصبر زادنا اليومي ! وهو نوع من الفاكهة الصيفية في بلاد الشام لذيذة ، ولكن تناولها يحتاج الى الصبر ايضاً .

الحجارة التي قذفها .

* * *

ماذا اخبرك بعد ؟ حتى الأسماء تغيرت في ضيعتنا ! واحد سمى ابنته (بلاطة) واخرى سمت ابنها (حجر) وهناك اسماء مثل صخر وصخرة وزلطة وحصاة وشقيف وجمشة .

عندما يريد الناس أن يصفوا احدا بالصلابة يقولون (صوان) واذا كان مظهره صلبا وباطنه رخوا قالوا : (كرواخ) واذا كان لينا وناعما ويتراجع بسرعة يسمونه (كلس) اما المثقفون الذين يتكلمون كثيرا ولا يقذفون الحجارة ، وبعضهم يكتفي بعدها وتحليل ردود الفعل عليها ... هؤلاء يسميهم الناس (طباشير) .

* * *

يتندر اهل ضيعتنا بامرأة من الضيعة المجاورة يقال بأنها عانت من عسر الولادة، وعندما وضعت وليدها قذفها الوليد بحجر كان في يده لأنها ضايقته .

لحسن حظ الـوليد انـه لم يكن هنـاك (مستـوطن) والا لكان اطلق عليه النار.

❊ ❊ ❊

آخر الأخبار . . . وصلت قصـاصة ورق صغيـرة بحجم ورقة العنب لم يكتشفها حرس الحدود العرب واليهـود ، الى الحاجـة لوعة من ولدهـا غضبان من السـودان التي وصلها بعـد الخـروج من بيـروت . يـطلب غضبان في الـرسالـة من امـه ان تـرسـل لـه وللشباب (ناموسية كبيرة) ليستخدمها ضد هجمات الـذباب المؤذي والمـوصوف في غـابات افـريقيـا . . ويقـول غضبـان : ان هـذا الـذبـاب يثـير اعصـاب المقاتلين والأخبار السياسية تزيد الطين بلة مما اضـطـر عدداً من الشباب للدخـول في مستشفيات الأمـراض العصبية .

خافت الحاجـة لوعـة على ابنهـا ، وصارت تمضي سحابة يومها في جمع الزعتر والميرامية من الجبال[1]

---

(١) الميرامية عشبة ذات رائحة زكية ونكهة طيبة ، يضيفها اهل الضفة الغربية الى الشاي ، ويستعملها اهل جبل عـامل وحـدها كـدواء =

لتهييء لابنها ثمن الناموسية(١) .

ملاحظة : الحاجة لوعة لم تعرف ـ خطية ـ ان الأوبك خفضت اسعار النفط وان ذلك سوف يؤثر على اسعار الزعتر والمَيرامية لأن عدِيمي الحياء والمروءة ربطوا كل الأسعار ، حتى الِأرض والدم ، باسواق الأجانب .

***

شهادة شاهد رأى الواقعة . .

الخليل . . . سائر المدن والقرى /يوم الأرض ٣٠ /آذار ١٩٧٦ فجرا ، ظهرا ، عصرا ، عشاءا سحرا اصبح الناس حجارة . كل شيء حجارة . . . وصارت الحجارة بشرا . . رجل احمر ، احمق ، لتتحقق من رجولته لا بد أن تتملاه عن كثب يبول في ثيابه دوما . جبنا وقذارة . . . يأتي من قارعة ما . من رصيف ما في العالم . . . ثقيلا سمجا

= لاوجاع المعدة ، ويحرقونها بخوراً على قبور الاموات .

(١) قطعة من القماش المشبك تستعمل في المناطق التي تكثر فيها القوارص الليلية لاتقائها اثناء النوم .

ومخمورا . . .

يرتدي احقاده الدفينة وغدارته وغدره . يقرع الناظر جرس المدرسة ، يخرج الأطفال بأيديهم حبات الزبيب والتين المجفف يأتون ارتالا كامواج الحنطة أو رفوف العصافير . . . يتضاحكون يصوب الأحمق بندقيته نحو الأطفال . . . يرمي الأطفال ما بايديهم من زبيب . . . يتناولون الحجارة من حقائبهم المدرسية . . . يصوب الأطفال نحو الأحمق حجارتهم وهم يرتجفون بردا وثورة وحبا وسلاما .

يتكاثرون ويراهم يسدون الأفق امام عينيه ، يصرخ : من أين يأتون ؟ رغم القتل والسبي والنفي . . . رغم الاقتلاع يكثرون من أين يأتون ! يطلق النار . . يسقط جرحى وشهداء وتأتي الأمهات صوت من ناحية مقام ابراهيم ﴿ **كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾[1] .

يأتون كما يأتي القمح . . . ينتشرون حلما على مساحة الوجع الآتي من جهة القلب .

يـــســتـــريحـــون في ظـــل وردة . . ســـلام لهـــذه الوردة . . . من أين يأتي الورد ولون الورد ؟ .

من الـــدم من التــراب من الحجـــارة يــأتي ، من الحب ، من الوعد من الغد يأتي الورد ولون الورد .

ولكن صبايا الخليل ضيّعن غزلانهن . . الغـزلان تــرعى بعيداً عن ربـوات الخليل وكرومهــا . . ومـا خلق الله الغزلان لتسكن المعتقلات . .

افــديكن يا صبــايا الخليــل باقحــوانة ربيتهــا ليوم زفــافي او مــوتي لا تغضبن . . لكن صبــايــا الخليـــل يتــوجعن حباً . . هــل يــأتي الــوجــع دومــاً من جهــة القلب ؟ صبايا الخليــل يحلفن ان الوجــع يأتيهن من جهة الارض .



الهجرة والذاكرة المفتوحة

﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾ صدق الله العظيم .

« كان علي بن الحسين (ع) يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة » .

ودائماً منذ أن كان جسد الإنسان أضيق من مدى الرؤ ية كان لا بد للرؤ ية أن تنعطف لتذهب في اتجاه

الداخل من السطح الى العمق . وكانت هناك هجرة ، خروج دائم من اقاليم الجسد . . في كربلاء انحلت خارطة الجسد . . في الطريق إلى كربلاء قال الحسين (ع) « . . . ما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف . . وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأني بأوصالي تتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً واجربة سغباً ، من كان فينا باذلاً مهجته وموطناً على لقائنا نفسه فليرحل فإني راحل مصبحاً إن شاء الله ». وفي كربلاء تلقى الحسين (ع) دم وليده الرضيع من عنقه بكفه ونثره نحو السماء وقال : « اللهم لا يكن أهون عليك من فصيل ناقة صالح ».

وعندما خيِّر حجر بن عدي - على باب دمشق - بين قتله أولاً أو قتل ولده اختار البدء بولده . . كان جسد الولد طريا وخاف الوالد أن لا يتماسك الجسد الطري .

وهل كان اختيار النخلة ليصلب عليها ميثم التمار عبثاً ؟

وعندما اعتلى عمر المختار وسيد قطب وخالد الإسلامبولي منصة الإعدام كان الآخرون مضطرين للشخوص بأبصارهم الى أعلى .. من الأعلى ، من فوق الحبل ، من نقطة التماس مع حبل المشنقة انطلق أول الكلام وآخر الكلام : أشهد أن لا إلهٰ إلّا الله .

إنه تحديد لمسار الهجرة ... حيث لا يضيع الجسد .

وإلا فلماذا يخفون جسد الاسلامبولي ؟

ومن يزور قبر يزيد، أو السادات ... من يزور الأحياء المتبقين من هذه السلالة طوعاً ؟

في الاسلام يحرَّم ابتذال الجسد .. فالوضوء والغسل واجبان ... والتغسيل والتكفين والتحنيط كلها واجبة والمواراة في الثرى في الثرى ، في عمق الثرى واجبة كي لا يبتذل الجسد ... ويُعْفى الشهيد من ذلك . فماء الشهادة أنقى وثياب الشهيد كفنه وحنوطه الدم ... وهو من بعد حي

يرزق . . . نذهب بالروح والجسد . . نذهب اليه ونعود من عنده اكثر مُضاءً واشراقاً وعزماً . .

في كربلاء وقفت زينب (ع) امام جسد الحسين (ع) وقالت ونظرت الى السماء « اللهم تقبل منا هذا القربان » .

قبلها كان ابوها قد قال : « والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه » .

وروى أبو داود عن النبي (ص) « ستكون هجرة بعد هجرة » .

وروى النسائي : « لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفّار » .

وفي الجاهلية ظلت الخنساء هائمة تجري وراء دم أخيها صخر حتى أرمضها ذلك وفي الإسلام تقبلت رحيل اولادها بصبر وصمت فقد تغير اتجاه الهجرة ومسارها .

شبكت عشري على رأسي وقلت له
يا راهب الدير هل مرت بك الإبل

❋ ❋ ❋

ومنذ أن كان هناك زمان يضارع الحركة في مسافات الحسّ وينطفىء، ينقطع عند النهايات المحدودة ويتلاشى في العياني ، كان الذهاب في الرؤ ية تحريراً للانسان من لحظته، تفكيكاً لعرى اللحظة ،وكان لا بد من زمن فسيح ، جاهز باستمرار لاستقبال الهواجس ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر .. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلعِ الفجر** ﴾ زمن يخرج فيه الفعل من قشرته .. لباباً يبقى .. « وعن عمره فيم أبلاه » .. تتعانق اللحظات ، تستفيق وتستقيم الذاكرة ، تمسي اللحظة الراهنة مفترقاً، بل نقطة اتصال بين اتجاهين بين ما انقضى ولم ينقض ﴿ **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المتقين** ﴾ وبين ما هو آت ولم يأتِ بعد ﴿ ... **إنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً** ﴾ . ﴿ ... **ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾ .

***

وتلفتت عيني فمذ خفيت

عني الطلول تلفت القلب

« في الشـــوق تفيأتُ ، كنت أجس الـــدقـــائق أَمْخَضُ ثـدي القفـار . . صـــارت الأرض أضيق من ظل رمحي . . مِتُّ، تلَّبدتُ بـالأرض أكثر صبـراً من الأرض . . . عقـــرت الحصى والغبـــار . . . سمعت الـعقـــارب كـيف تـصـيء . . هديت الـقـــطا في المجـاهل . . مِتُّ، وانكببت عـلى كاهـل الريـح . . صليت وشوشت حتى الحجار » .

﴿ سبحـان الذي أسـرى بعبده ليـلاً من المسجـد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . . ﴾ .

ومنـــذ أن كـــان هنـــاك مكـــان ينـفتـــح أمـــام العـين قليلاً ، ثم ينغلق ، يـرتـد البصـر خـاسئـاً وهـو حسـير . . . ولا يتجاوز في حـال السكون مدى «يوم بريـد » ويبلغ في حال الحركة إيوان كسرى من نقطة في المدينة ، من الخندق في زمن الحصار . . . منذ أن كان المكان كان لا بد من حركة المكين باتجـاه مكان أرحب لئلا يعم الجدب ، يجدب الـداخـل ويمتنع الأمل ، صفـة الأمل أن شجـرتـه لا تثمر إلا إذا تمكنت ﴿ ويؤمـنونْ بالغيـب﴾ . وتكـاثـــرت ﴿ إذا

جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابـاً ﴾ . . . وتشابكت أفياؤها ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾. والضرب في المجاهل ، الخروج عن مضارب البصر الى مطارح البصيرة ومرامي الرؤية هو التعرض والتطلب للقطر والندى والحياة .

***

هذه الهجرة ، هذه الحركة الدائبة من القيد باتجاه الحرية ، هذا العناء العذب . . . شرطه الإنسان .

ما من حجر يستشعر الضيق والحصار ، إنه محايد في المكان حدَّ الموت . وإذا ما ضاق المكان عليه وهو لا يضيق بالمكان ، ينكسر من الخارج . .يصبح داخله خارجاً . . يتراجع العمق نحو السطح . . يصبح سطحاً ، والحجر يطيع ، وإذا ما حُرِّك بفعل إرادة لن تكون إرادته ولن يمانع بحال ، تكون حركته ـ حركة غيره فيه ـ استبدالاً في المكان وعبوراً ميتاً في الزمان . . دون تواصل أو تزامن . . .

وحدها حركة الإنسان تكون في الـزمان والمكـان وفي مسافات الجسد استيلاداً لعـلاقات نمطية اخـرى مع سائر الأبعاد . . . (شهر رمضان . . يوم التروية . . العيـدان . . يـوم الجمعة) وتأسيساً لمسـار جـديـد «بدر . . الفتح . . عاشوراء . .» ينفصل أو يتصل بمسار سابق او لاحـق ليكون واحداً أو متعدداً متماثلاً أو متمايزاً . . ولكنه محكوم بالوعي دائماً . . .

وإذا كان الإنسان شرط هذه الهجرة فإنها اختيـاره أيضـاً اختياره الـواعي . . وإلا فإن هنـاك هجـرات بشرية ، فردية وجماعية . . هي أقل القاً من هجـرة السنـونو والسمـان فـي الخريــف والبجـع بحثاً عن الجراد . . هجرات لا تتمايز عن حركة الأشيـاء افقاً ومسـاراً . . صحيـح أنها استجـابـة لحاجـات تميـز الإنسـان ولكن إشبـاعهـا خـارج السيـاق الهـادف الواعي ،الرباني، يضع الإنسان في منطقـة التشيّؤ ، ﴿ لإيـلاف قـريش إيـلافهم رحلة الشتـاء والصيف فليعبـدوا رب هذا البيت الـذي أطعمهم من جـوع

وآمنهم من خوف﴾.... بينما يدفع الإلتزام الواعي ، الإيمان، بالسياق هذا إلى توليد علاقة بين الإنسان والأشياء تضع الأشياء في دائرة الأنسنة «الحجر الأسود»، «الكعبة المشرفة» «الجمرات» «الأقصى» الخ ... هنا يمسي الشيء في حركة تبادلية مع الإنسان وبعداً جوَّانياً في بنية الانسان في وجدانه وحركته وذاكرته .



إنها الهجرة الإختيارية إذن ولكن اختيار الإنسان عرضة لاستقطابين ... استقطاب في اتجاه مادي محض ومباشر ومحدود يفضي الى التشيؤ والإنتظام في النمط الوجودي السكوني .. قد يكون التشيؤ محَّسناً في بعض الحالات الحضارية . كما في الحضارة الغربية الحديثة التي أرسى ديكارت إطارها النظري على قيم «الكم».. قد يكون التشيؤ محَّسناً ببعض الفعاليات والمظاهر الجمالية (الشعر، الموسيقى، الخ) ولكن هذه المظاهر تَقْصُر عن الإيهام بغيره ، غير التشيّؤ، ليبقى التشيّؤ ولا يلبث أن ينحدر وتتحول

جمالياته إلى بعد برّاني مرصود بالتدني والهبوط والسقوط واستقطاب في اتجاه آخر، لا يلغي المادة ، بل يطوّعها، هوالحاكم والمهيمن ، والمادة تستجيب وتسمو تبعا لتسامي الإنسان .

إذن من أين يأتي الصواب في تعيين الإتجاه ، وتجنب التيه في حركة الهجرة ؟ ﴿ ووجدك ضالاً فهدى . . ﴾ . . . ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى . . ﴾ .

﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربّي فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربِّي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾

إن الصواب . . الدليل يأتي من خارج الموضوع ،من خارجه مفهوماً وذاتاً وإن كان في داخله

فيضاً وتكويناً . . يأتي الدليل من خارج الراهن في الزمان والشاخص في المكان ، من خارج حدود الجسد . . من التوحد ، من منأى عن مخاطر التعدد ، لأن التعدد مناخ الفساد، والمحدود، المتعدد لا يبرأ إلا بالإقتراب بالعروج نحو المطلق بالهجرة إلى النور، يستضيء ولا يحترق، يحترق إذا بالغ وحادَ وتوهم اِمكَان التماثل لأنه بذلك لا يقيد المطلق ولا يطلق المقيد ﴿ . . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . . ﴾ .

إذا لم يتخفَّف الإنسان من اعباء الجسد ، استحال عليه أن يجد له نوراً . . لا بد أن يعبر بوابة الجسد ـ بواسطة الجسد ربَّما ـ (الصلاة، الصوم، الحج) نحو الداخل ليأتيه النور ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ ، ﴿ **ورفعنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾، ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى**

الظلمات ﴾ ، ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ ، ﴿ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ ، ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴾ .

الصواب في تعيين الإتجاه الصحيح وتجنب التيه - الصراط - يأتي من هنا من زمن خارج الزمن ومكان خارج المكان ومن ذات ليس كمثله شيء يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار . . . من هنا . . من التحرر من الذات والزمان والمكان ، من الغلبة على الجسد . . الهوى . . من الهجرة إلى الله ، من الإستضاءة بنوره ، من الخروج من ظلام الكفر إلى نور الإيمان .

* * *

عندما يحدث الإنعطاف السلبي في مسار الهجرة . . يدخل الانسان المستخلف دائرة الذات ، يغرق في ظلامها . . يحدث الإنفصال ويأتي الجور . فتقف الصحوة على المفترق تشير وتهدي إلى الاتجاه

الصحيح . تعيد إلى الله وتعيد اختيار الإنسان الى نصابه، تحرره من الضواغط وتتواصل مسيرة التحرير في المستوى المادي والمعنوي . . كل منهما يشترط الآخر لاكتماله ، يتكافآن . . . إن التحرر المادي ، الانعتاق من المادة هو في مضمونه أبعد من المادة، ليس مادياً محضاً، إنه نمط آخر من العلاقة بين الإنسان وبين المادة. يهدف الى التوازن الذي لا يتم إلا من خلال سيطرة الإنسان بمقتضى القيم الإيمانية على المادة والخروج من قبضتها دون الغائها ، باعتبارها حاجة وتطلباً . . « ليس الزهد ان لا تملك شيئاً بل الزهد ان لا يملكك شيء».

لا بد أن تكون المادة بالمعيار الإيماني طيبة ، خالصة ، حلالاً وإلا كانت جوراً وتطلبت ظلماً وإخلالاً بالتوازن ﴿ **قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾ . يطول الحديث عن جور الجائرين واعتدائهم على كرامة شعوبهم وحقها في الحياة من نمرود الى فرعون الى أبي جهل

الى يـزيـد الى شـاه ايـران . . ولكن الجـور في أصله يعود الى تغيير يحدث في مسار الهجرة في الإتجاه نحـو الرحمن الى الإتجاه نحو الشيطان .

من العـروج نحو الله إلى السقـوط نحو المادة ، من الخلل العقيدي ، من الوحـدة والإتصال إلى التعـدد والإنفصال يزيد يجور ويظلم ويهتك الحرمات ويسفح القيم .

ولكنه في الأساس جار على نفسـه وجاء جـوره في حق الأمة ترجمة ولازمة لذاك الجور . .

هـو قال ذلـك . . . في البدء خـرج عـلى النـاس اشعث أغبـر وقال : أيهـا النـاس عـلى رَسْلِكُم . . . وبعـد الطَّف ردد مـا لا يقبل جدلاً أو تأويلاً« . . فلا خبر جاء ولا وحي نزل » .

من هنا بدأ ابراهيم (ع) بالأصنام ، غطاء الكفر والجور .وعندمـا انكشف الغطاء غضب نمـرود وعاقب فـابـطل الله عقـابـه . . واستعـر غضبـه . . إن بـين النقيض والنقيض ممـانعـة ولا بـد أن يلغي أحـدهمـا

الآخر أو يكون مجاله المادي مغايراً . . ويتوهم نمرود أن وضع ابراهيم (ع) في مجال مادي آخر يعطِّل الصراع ويبعد الخطر .

ويهاجر ابراهيم (ع) .

* * *

« سمِّني قيساً وسمِ الأرض ليلى » .

نحن نمتدح الهجرات . . ونتابع مسارها في الوجدان والحركة . . . قبلتنا الكعبة . . . ومكة محجتنا . . . والمدينة المنورة مزارنا . . . وكربلاء مرعى حزننا وغضبنا . . . والأقصى في القلب والضمير . . تلك هي الممرات ومحطات الهجرات . . . هذه الهجرات هل هي انقطاع عن الوطن ؟ .

يعاني غيرنا من خلال انتمائهم « الأممي » المادي في العمل ، يعانون مما يسمونه « الكوسمو بوليتيّة» اللا وطنية . أما نحن فيغمرنا الوفاء للمنبت فإذا ما جف ضرعه . . . صارت الأرض لنا وطناً وهي لنا وطن بحكم الإسلام الذي يذهب معه الوطن حيث يذهب . والإسلام لا يقف ﴿ . . وما أرسلناك الا كافةً

للناس بشيراً ونذيراً ﴾[1].

على أبواب الفتح . . ظنَّ الأنصار ـ محقين ـ أن الرسول (ص) سوف يعود إلى مجلى صباه ـ مكة ـ بعد الفتح . . . كان ذلك طبيعياً ولكنه طمأنهم بأنه سوف يبقى معهم .

لم يتخلَّ الرسول (ص) عن مكة . . ولكن مكة في الإسلام أخذت مفهوماً آخر . . صارت المدينة جزءاً منه . وكذلك ما قرب أو بعد من أصقاع الأرض كافة .

خروجاً على « الكوسمو بوليتيّة » الأممية . . يغرق الآخرون في الوطن ، يتحول الوطن إلى صنم . . . وتستباح القيم والدماء والأوطان في سبيل الوطن الصنم . . أليس ذلك ما يفسر الإستعمار؟ . . ونقيضه الشعور بالأمانة ، ومسؤولية الهدى، هو ما جعل حركة الإسلام باتجاه الامم فتحاً وتحضيراً وتحريراً ؟ .

فرق بين ان تسكن الوطن يكون خارجك وبين

أن يسكنـك الـوطن وتسكنـه (ويكـون داخلك) في الحالة الأولى تكون الهجرة انقطاعاً وضياعاً وفي الثانية تكون الهجرة وفاءً واتصالاً . . والإلتصاق بالوطن هو إيقـاف للتاريـخ عند حـدوده بينـما الإيمـان هـو بنـاء للوطن على قاعدة التاريخ .

* * *

ويعاني غيرنا من عدم اتساق حركة التاريخ : من عدم الوحـدة في سياقهـا . . والمادة لا تصلح منـظاراً لـرؤ ية الـوحدة ومن هنـا يقدمـون الصراع الـطبقي مدخلاً لتفسير التاريخ .

إنهم يفتقدون الذاكرة والتواصل . .

نحن نتعامل مع التاريخ على أنه وحدة . يحكمها سياق واحد . وعندمانرى في حركـة الأنبياء مشـاهد في لـوحة واحـدة وفي هجراتهم محطات عـلى طـريق واحـد . لا نعاني انقـطاعاً أو تقـطيعاً ولا تضخـماً في الـذاكرة . . إنها اليقـظة على التـاريـخ . . المشـدودة باستمرار إلى قـطبها الأخـروي والمستضيئة بـاستمرار بنور الواحد . المطبوعة بالتوحيد.

ومن هنا نرى كل حركة باتجاه العدل امتداداً لحركة النبوة والأنبياء . . . ونذهب إليها بالوجدان إن لم يكن المكان متيسراً وتبقى في طموحنا . . نذهب إلى مكة وكربلاء ولا يغيب الأقصى عن البال . . وقد طال تيهنا . . . والآن بعد ثورة الإسلام بدأنا نخرج من التيه ، نبرأ ونتوب ولسوف ندخل الأرض المقدسة ساجدين .

أمامنا إمامنا إمام الهجرة في هذا العصر . . الذي طوّف ما طوّف والقرآن مصباحه . . أضاء في الداخل منه . . فانفتحت أمامه الآفاق وأحكمنا معه قبضتنا لتقرع باب المستقبل مهاجرين الى الله والمجد .

***

الهجرة بين الاقتلاع والوعي الإيماني :

«أسِرْت القطى هل من يعير جناحه
لعلّي الى من قد هويت اطير»

ما طار شاعرنا . استعصى الجسد وعاد السيّاب ليستعيض عن هذه الاستحالة باستحالة اخرى .

لو جئت في البلد الغريب .

الي ما كمل اللقاء
الملتقى بك والعراق على يدي
هو اللقاء
شوق يخضّ دمي اليه
كأن كل دمي اشتهاء
ليت السفائن لا تقاضي راكبيها
عن سفار
او ليت ان الأرض كالأفق العريض
بلا بحار .

يريد أن يمشي . ووصل السيَّاب الى البصرة ومنها الى جيكور جسداً ميتاً لا شِعر فيه . استقبلته إقبال وغيلان وفلاحون عدد أصابع اليد في نفس الوقت الذي كانت فيه السلطات الحاكمة قد أمرت عائلته بإخلاء المنزل والهجرة في الوطن الجسد ، ذهبوا معاً الى جيكور مع جسد السيَّاب ، كانت أشياء كثيرة تموت وكان السيَّاب يأخذ مكانه في نظام الموت .

ووقف رشيد المعلوف على مرفأ بيروت تداخل في

اللوحة وقال :

«ذراعِ ملاقٍ خلف كف مودع
يلوحان لي كلتاهما خلف أدمعي
مناديل من ودعت يخفقن حولهم
فلا ترهقيهم يا سفين وأقلعي »

صارت الهجرة تفتيتاً ، يتفتت الخارج فلا يقوى الداخل على التماسك . ويهاجر مالك بن الرَّيْب . تأخذه الريح في مغامرة صحراوية ، ينام رمحه وسيفه ، يذهبان في غفوة معه وتستبيح الأفعى جسده ، من قال لك أن تنام في هذه الصحراء ؟! . .

عندما أخذ جسده يذهب ، يفلت من يديه وعينيه أمام عينيه ، وذهب خاطره في اتجاه معاكس لرحلة الجسد حياً وميتاً ، ذهب حنيناً الى بناته والى شجر الغضى ولكنه مرصود بالموت مسكون برعبه . .

«أيا صاحبيْ رَحلي دنا الموت فامضيا

فـإني مـقيـم في العـراء لـيـالـيـا
وخُـطا بـأطـراف الأسنـة مضجعي
ورُدّا عـلى عينيَّ فـضـل ردائيـا »

وعندما جـايلت بغداد والشـام عيني عبد الـرحمن من الأنـدلس اتكـأ الى جـذع نخلة مغتـربـة ووزع وجوده :

«إن جسمـي ومـالكيـه بـأرضٍ
وقـلبـي ومـالـكـيـه بـأرضٍ »

لقد توزع .

وقـرون مضت ثم عـاد الجسـد ، خـرج مـن الأندلس لأن القلب كان هنـاك ، لم يكن قلباً يتسـع للأرض كان يحتبس فيهـا . كان القلب متحيـزاً فعاد الى حيـزه وتبعثر المجـد ، كـانت دمـوع الخـارجيـن إعلاناً حزيناً بنهاية الرحلة والدخول في محيط الدائـرة المغلقة .

غير أن أبا تمام يدركه الثلج في همذان فلا يموت .

لا يذوب حنيناً . . من قـال إن الحنين ذوبـان ؟! . .

الحنين يقظة وتكيف باتجاه المعنى واستقرار في الهجرة مشبوب متوهج وخلّاق . . .

خليفـة الخضر من يُـربع عـلى وطن
في بلدة فـظهـور العيس أوطـاني

ويكتب ابو تمام «حماسته» في همدان :

قبله كان شاعر قد حل التعارض وتوحد مع ناقته منحها حريتها كان قد امتلك حريته . هاجـر صارت الأرض مفتـوحة أمـام القلب عنـوة أو طـوعـاً وأمـام الجسد .

«إن تُـتْهـمـي فَتِـهـامـة مـوطـني
أو تـنـجـدي إن الهـوى نَـجْـدُ»

في حين تفارق الآخـر مع نـاقته فكـانت غـربتـه وغـربتها ، هي معـذورة لأن امكانيـة الوعي عنـدها محـدودة ، هي مشدودة الى جسـدها والى مجـال هـذا الجسد ، فصيلها أو مرعاها أو مرتعها وجسدهـا يحن الى أجـزائه ، فـما الذي أغـراه أن يتـوزع ؟! لمـاذا لم يـرتفـع ؟!. لمـاذا لم يهـاجـر ؟!. . لأنـه اختـار

الجسد . . .

«هـوى ناقتي خلفي وقـدامي الهوى
وإني وإيـاهـا لمـخـتـلفـان »

لمـاذا الهـوى ؟! ولمـاذا تـركـه يعصف ؟! إن لم تعصف بالهوى عصف بـك ووزَّعك وهـو يذروك في النهاية .

هـاجـر المسلمون الى الحبشـة ، رسمـوا مفتـرقـاً ومتحـولاً غنياً . مـات منهم من مات، قـدم الجسد لكنـه عاد معلماً في الـوجدان وملمحـاً في التاريـخ . هاجر الرسول (ص) الى المدينة لا تطلباً لراحة فقـد ارتضى الحيـاة في الشعب حتى الجوع الأخيـر ، كان يسـير الى تعبـه . . والكبـار يـرتـاحـون في التعب وعناؤ هم هو مصدر لذاذاتهم . وتفـارق الجسد فتـح ابوابه فنام علي عليه السلام في فراش المهاجر مطمئناً راضيـاً وانضمت العنكبوت والحمـامـة الى سنفـونيـة الهجـرة وكـان الله في القلب « . . لا تحـزن إن الله معنا » .

وسـرت الى المفاصـل والأعماق.هي الهجـرة ، في

العمق أو على السطح امتثالاً للجسد المنفصل او طوعاً لنداء التوحد بين الروح والجسد حيث تتسع الأرض ، تصبح الأرض خيمة ، مسجداً ، ويصير التراب وطاءً والسماء غطاءً . يفتح المهاجر (درباً تحت سطح الأرض يُفضي للسماوات العريضة). ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾ .

ولا غربة ، الغربة ارتهان يحول الهجرة الى ظلمة فلا يقوى المهاجر على التوازن ، يميل مع الأشياء التي تميل ، لا يقيم اوَدها ، يمعن في الانحناء ويلزم نفسه بالاستحالة .

الشمس اجمل في بلادي من سواها
والظلام
حتى الظلام هناك اجمل .
فهو يحتضن العراق .
واحسرتاه متى أنام
فاحس ان على الوسادة
من ليلك الصيفي طلاّ

فيه طيفك يا عراق .

قد تتفجر الغربة إبداعاً ومنحنيات وَلَهٍ وصبوة وفجيعة ، ولكنها تُغرق لا تورث الا وجعاً وإدماناً على الوجع يستحيل معه الأمل والحركة والفعل الخلّاق ، وإذا ما تيسر لفنان ان يغرق في آلامه وأن يتلذذ بها فإن ذلك لمن يقتلعون اقتلاعاً ؟ إذا ذهبوا مع الألم أغرقوا الأرض الوطن بالدموع . ألا تكاد تضيع فلسطين بالدمع والكلمات ؟! ألم تنهض من نومها مورّدة بأحلامها يوم هاجر الجسد اليها ؟! ألا يحاولون الآن منع الجسد من عناقها ؟! حتى لا تعود . . حتى لا تعود وحتى يفتح أخاديد للدمع ويغلق أبواب الدم ؟! يذهب المؤمن يجدّ في سيره سُرىً ودلجاً ويوافيه الآذان موسم الروح لإعادة الجسد ، بل توحد الجسد . يجمع حجارة . . حصىً من الصحراء . . أشواكاً إن لم تتوفر الحجارة يخطط مسجده بها ويرسمه في التراب يستهدي بالنجم أو الشمس أو القمر ، يتوجه نحو القبلة ينحني ويستقيم الجسد وتتحرر الروح من إسارها تنطلق فرحةً حانيةً .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذي يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾.

﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾.

﴿لا يغرَّنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾





يوم القدس في العمق

انــه شهــر رمضــان . . . انــزل فيــه القــرآن . . . لامكان فيه للغو وانا يعتــريني شعور بـأن لغوا كثيـرا قد تسرب الى لغتنا وفكرنا تداخل مع وعينـا، شاكله فسمينا الكل وعيا .

في شهر رمضان لا بـد من الاجتناب . . . لا بـد من صــون اللسان والا كـان الصوم جـوعا وعـطشـا ليس الا . . .

في الكلام السياسي المباشر يصبح الإجتناب عن اللغو أمراً صعباً ، لأن اللغو سرعان ما يتسلل بحكم العادة ، فمن اين ندخل الى القدس ويومها اذن ؟

من الهموم والأحلام .. الهموم والأحلام التي تعيد القضية الى عناصرها الأولى ... في اهم « اسرائيل غدة سرطانية » وفي الحلم « القدس حدودها بيروت وطهران وجاكرتا » ... في الوعي السياسي المخلوط باللغو .. اسرائيل دولة تبحث عن حدود آمنة . والقدس مجال من مجالات الصراع والوفاق الدولي . ولكن هموم من واحلام من ؟

هموم الكبار ... الكبار فالكبار الكبار تتحرر همومهم من اسر الجسد ، من قبضة الدنيا ... تكبر كما يكبرون هم ، فهم يرون والرؤية تنتهي الى العشق والعشق اعراض عن التفاصيل وذهاب في العمق .

العشق غرام . . والمغرم لا يهادن ولا يساوم ،
واحلام من ؟

احلام الأطفال . . الأطفال ، مشتقات الفطرة ومرادفاتها ، من الفطرة يذهبون الى الله ومن الله يذهبون باتجاه القدس ويحلمون . . يكبرون بالاسلام ويحلمون . . تأتي احلامهم اعمق من كل مفردات وعينا ولغونا .

في الهم الحضاري الاسلامي آتيا من طهران يجوب اصقاع الاسلام ويقف مليا عند اسرائيل ، وفي الحلم الفطري آتيا من جبل عامل مرفرفا فوق منارة الأقصى . . في الملتقى بين هم الخميني واحلام اطفالنا ـ وعود الاسلام ـ تستريح القدس وتطمئن . . يستعاد الوعي ويتوارى اللغو .

***

مصطفى الطفل العاملي الأسمر له من العمر ثمانية اعوام ونيف كان في قريته في جبل عامل ايام الاحتلال الاسرائيلي للبنان . . مصطفى يعرف ان

قدرة ابيه المالية محدودة . . ويعرف ان اكثر اصدقاء أبيه ميسورون ويرى لعب اطفالهم فتأخذه لحظة صمت ، يضرب اخماسه باسداسه ويسأل : الا توجد دراجة هوائية بمائة « تومان »؟

يتفق معه ابوه على انه اذا وجدت دراجة بهذه القيمة فسوف يشتريها له . . ولكنها لم توجد حتى الآن . . يدرك مصطفى انها لن توجد فيكف عن السؤال . . ولا يلبث أن يرى طفلاً على دراجته حتى يعود الى السؤال عن الدراجة المستحيلة .

اين يذهب مصطفى من هذه الاستحالة ؟

يدخل الحمام . . يعلو صوته من داخل الحمام . . نسأله : ماذا كنت تفعل . . . يستعير سنوات من الزمن الآتي ، يضيفها الى غضون جبينه ويقول بوقار : كنت اقول شعرا . . . وماذا قلت ؟ « من بيروت الى القدس اميركا عدوة الشعوب » .

يتلذذ قليلا بالاصغاء اليه ثم يسأل : كم طفلاً قتلوا في صبرا وشاتيلا . . . وتتوالى تداعياته . . .

طلال جمعوا دماغه من الحقول .. أبو علي دفنوه ليلاً حملوه على سلم خشبي ... الحاج خليل قتلوه في حقل الحنطة وآلة الحصاد في يده ... مرت دبابة اسرائيلية قرب بيتنا ، رموا لنا كيسا من الحلوى قذفته برجلي .. بابا .. كيف يسافر الامام الخميني الى القدس بالطائرة أو بالسيارة ؟ هل يسمح له الحكام العرب بالمرور من الحدود ؟... بابا هل الامام الخميني يحب الأطفال؟ بابا ... كم كان عمر عبد الله الرضيع عندما شك السهم في نحره ؟ بابا هل كان خالد الاسلامبولي متزوجا وله اطفال ؟ بابا اريد ان اصبح شهيدا .. بابا اريد دراجة هوائية .. لماذا لا يصنعون دراجة هوائية بمائة تومان ؟

بين يوم وآخر يحلو لمصطفى ان يسفه احلامنا باحلامه .

***

قياسا على هذه الأحلام ، من الأكبر سنا ؟ فهد بن عبد العزيز أم مصطفى ؟

اذا اخذنا الزمن العربي مقياسا ، وهو زمن ضائع ومهدور يكون بامكاننا ان نقول : ان صدام حسين اكبر سنا من أي خنزير .. وفي الحلم يتداخل الزمن ، تتمدد لحظة مكثفة لتصبح عمرا او عصرا وتعود لحظة مهاجرة في الماضي .. في بدر أو كربلاء .. لتعانق لحظة آتية في القدس او كربلاء .. في الحلم ينعطف المكان على المكان .. تنهض مدينة ما ، قرية ما ... نابلس .. صيدا .. دير قانون ، تنهض من نومها تغسل وجهها بعرق أهلها ودماء شهدائها وتجتاز حدودها .

(في موقع متقدم لجنود الاسلام في ايران يوجد «مسجد القدس» ومن الفرق المقاتلة « كتائب القدس » الى جانب لواء « محمد رسول الله ») بقدر ما يكون الحلم عذباً مشروعاً وعادلاً فطرياً حضارياً بقدر ما تنحل في كيميائه المسافات ... اذا أخذنا الحلم مقياسا يصبح قابوس عمان كابوسا .. ويظهر رغم الشيب البادي في لحيته المخططة بعناية واحتيال ... اصغر كثيرا من عصفور على ان

العصفور جميل واليف وقابوس كريه وبذيء . . .

يقول مصطفى في احد مقطوعاته :

« اذا تموت بيروت فالقدس حدود بيروت » .

« اذا تعيش القدس فبيروت حدود القدس » . . .

هكذا من وجهة نظر فنية ولغوية كلام مصطفى اكثر بهاء وتماسكا من كلام فهد وقابوس وصدام والمجاهد الأكبر الحبيب بوزقيبة ! بعل الماجدة وسيلة .

ومن حيث المضمون . . لا يعترف مصطفى بكل عمليات التجزئة .

يرى منارة الأقصى عالية مستقيمة علامة توحيد تتجه نحو السماء ويرى ظلها على الأرض . . لا يفصل بين الشاخص وظله ، بين التوحيد والوحدة .

ويعرف مصطفى ونعرف ان « البومة » وحدها بين مخلوقات الله تحب سكنى الخرائب .

كيف يستمرىء صدام البقاء في العراق حتى الآن ؟

ماذا في العراق غير الخراب ؟ـ حتى الدم يكاد

ينضب ... أما العلم والفكر والأدب... رواء هذه الأمة وعصارتها فهي تختلط بالدم المسفوح في اقبية حجاج العصر .

ان صدام (اليوم) يمارس كل هذا التخريب ليصبح العراق اكثر ملاءمة لسكناه .

بعد خراب العراق وبقاء طائر الشؤم فيه نستعيد جانبا من وعينا طالما تعرض للتزييف ، ونعلن استنادا .. الى كل مشاعرنا الصادقة وتجربتنا الفنية وحدسنا وارقامنا .. بانه يستحيل ان تكون قد حدثت ثورة في بلد عربي في عصرنا الراهن ونجحت بدون اذن اميركي .. وحركة القومية العربية لم تعان ابدا من انحراف في مسارها بالإتجاه الإمبريالي لأنها من الاساس مشروع امبريالي .. ولا داعي للدهشة ابدا .

إني اسمي .. من يسمون حكاما عربا .. (بوما) .

وهل يتوهم فهد وكل البيادق الأخرى ان هذه

التلفيقات التي سموها لهم اوطانا هي اوطان بحق .

ان الرياض هي احد أسواق نيويورك ليس الا . . وفهد مأمور « الحسبة » في هذا السوق لا أكثر .

متى تصبح الرياض رياضا ؟ عندما يرتفع فهد الى مستوى مصطفى فيرى حياة القدس والرياض او موتهما متلازمين . . ومتى يرتفع الى هذا المستوى ؟ عندما يجف النفط ويعود فهد طفلا يذوب عنه شحم الزمن يتخلص من عشرات السنوات المضافة الى عمره بدون استحقاق عقلي ، ويحلم بان يكون هناك دراجة هوائية بمائة تومان او ثلاثين ريالا . . وعندئذ يتأكد فهد ان « المملكة العربية السعودية » هي خربة وان الأسرة هي سرب من (البوم) .

على ان البوم ، لا تسكن الخرائب سكنى دائمة . . تأتيها ليلاً لفترة ثم تذهب لشؤونها ومن شؤونها رصد الطرق الوعرة وتنبيه الفلاحين الى وجود خطر في طريقهم ، افعى ، ثعلب . . . ابن اوى ، الخ حسب تقديرها هي للخطر .

والقول بانها طائر شؤم لا يستند الى اساس ، كالقول بأن هذه الأشباح العربية حكام ، وبان هذه الأكاذيب العربية دول حرة ومستقلة وسيدة مصيرها . . .

* * *

في كلمات قليلة ينتقل مصطفى من بيروت الى القدس ومن القدس الى بيروت بدون جواز سفر ، بدون هوية وطنية ، يسري به حلمه . . على قاعدة الاسراء الأول من مكة الى القدس الى السماء ذهابا وإيابا تطويعا للزمان والمكان بارادة الله بلا سلام . . . للتوحيد والوحدة .

﴿ سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ﴾ .

* * *

مصطفى . . ابن من ؟ . (ادعوهم لآبائهم) صحيح ولكنهم (بزمانهم اشبه منهم بآبائهم) على حد قول امير المؤمنين (ع) وأي زمان هو زمان مصطفى .

انه زمان الخميني . . والخميني أيقظ الفطرة ،

ومصطفى مرابط عند فطرته بامر من الخميني ، يرى في زمانه حقلين للزمان . .

يرى حقلاً مجدباً مليئاً بالنفط والفراغ . . زينوه بالمستحضرات الكيميائية المستوردة . . هو هذا زمن الحكام (اليوم) ويرى حقلاً للزمان أخضراً فسيحاً تجري انهار الحب والشهادة بين ايامه ولياليه فيختاره مصطفى مقيلاً ومرتعا لاحلامه ، يداعب أطراف عباءة الخميني ويستظلها اذا استشعر حرا ، انه زمن الحق والفقراء . زمن الله والانسان . هو الزمن المفتوح على المهدي المنتظر على وعود العدل والقسط والخصب الآتي .

***

اليوم ايران وغدا فلسطين . . ان البدايات لا يمكن ان تسلم ما لم تتواصل مع النهايات ، تواصل الأطراف مع المركز حفظا للأطراف وللمركز معا . . « اسرائيل غدة سرطانية » ومن يستطيع أن يحفظ مكة بدون القدس ؟ ومن يستطيع أن يحفظ القدس بدون مكة ؟ وهل هؤلاء قادرون على حفظ مكة ؟

لقد سقطت القاهرة وبيروت وعمان وبغداد وكل العواصم مرشحة للسقوط .. واسرائيل غدة سرطانية .. تنمو ، تتوسع سرطانياً بدون قانون الا قانونها .. والنمو السرطاني لا يتوقف عند حد حتى يستولي على الجسد كله ويطرد الروح ، فالاسلام اذن نصب العين وفي المرصاد . والمدخل الى الاسلام ديار الاسلام والمدخل الى الاسلام معاقد التاريخ فيه .. الروح مدخل الجسد والجسد مدخل الروح .. هكذا يقول الاسلام ، عقيدة وتشريعا عبادة وعملاً جهادا وفكراً ، صلاة وصوماً.

القدس اول الأبواب ، بعدما انفتح .. دخلت الجرثومة السرطانية ، وتراخينا .. تحولنا الى بوم (تحولوا هم الى بوم) هل توقفت الجرثومة عند حد؟ انها تتوسع .. ونحن نتراخى .. البوم تتراخى .. (اليوم ايران وغدا فلسطين ..) وغلقت البوم الأبواب ابواب الاستعادة .. أغلق نسل البوم ابواب بغداد على القدس وفتحها على طهران ..

ولكن طهران ، رغم الوجع ، وهو محسوب سلفا ، تعلن للقدس يوما من ايام شهر رمضان ، ولعله اكثر ايام هذا الشهر توترا وغنى ، ينعطف المكان على المكان في مدى الاسلام الرحب . . ويأتي يوم القدس اختصاراً للزمان وتكثيفاً وتمحوراً حول المكان . . ان التمحور حول القدس بحسب الاسلام هو تمحور حول الذات نحوها وباتجاهها .

واذا تحولت القدس الى مجرد مدينة وفلسطين الى مجرد وطن فانها سرعان ما تفقد ألقها وجاذبيتها لأن جاذبية الوطن مؤقتة تكف عن الجذب عند أي احباط أو تعب او استبدال . . .

الم يحصل الاستبدال ؟ الا يتم الآن البحث عن وطن (ما) للفلسطينيين ؟ ولكن كيف يمكن ان يبحثوا عن مكان . . عن وطن للأمة الاسلامية اذا ما كانت الأمة وراء القدس !

* * *

كان محمد منتظري يرى المعادلة بقليل من الكلام

وكثير من الوجدان .. وماذا يعني نهج الامام غير ذلك ؟

غير العودة بالمسألة الى عناصرها الأولى .. الى طهارتها ونقائها ... قدس .. قضية الاسلام .. والتحرير ، بدء الزحف وهنا احتاطت بغداد للأمر .

الجبريون يقولون : هل ينجي حذر من قدر ؟

نحن هنا جبريون .. ليست اسرائيل قدرنا بل الاسلام قدر العالم .

***

مصطفى يلجأ الى اخيه زيد الأكبر سنا والأكثر وعيا ليحل له مشكلة الدراجة .

زيد يقترح ان يقوما معا باداء بعض الأدوار التمثيلية داخل المنزل .

(الثورة الاسلامية في ايران) (الحرب الاسرائيلية في لبنان) (الحرب العراقية المفروضة) (استشهاد بهشتي ومحمد منتظري) .

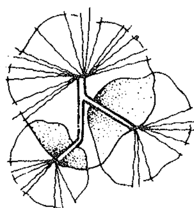
وعندما يفرغان من عملهما يأتيان ويقولان :

خذونا الى الحرس ، خذونا الى « البسيج » خذونا الى الجبهة .

ويعرفان ان في الأمر صعوبات . . يذهبان الى صلاة الجمعة ويتبرعان بجزء من مصروفهما ويعودان راضيين ، ويتحدثان عن الامام الخميني وكانه رفيق لهما .

ترى كم عدد الأطفال الذين يحبون « بيغن » او « فهد » من غير اطفال الحاشية ؟ .

* * *



هلال شوال سلاماً

لا بد ان تفرح . .

لا بد ولو من قدر قليل من الفرح ، من لحظة تتخفف فيها من اعباء الحزن الذي هو قرينك وتابعك ولازمك ، والا فالجنون ، كيف تفرح وليس امامك او وراءك فسحة او محطة للفرح ؟ تعالج قيودك بنفسك . . تفتح مصحفك تبحث عن آيات البشرى والوعد . . . وجوه يومئذ ناعمة . . لسعيها راضية ، في جنة عالية . ﴿ يا ايتها النفس المطمئنة

ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ ﴿ فرحين بما آتاهم ﴾ ﴿ هم في روضة يحبرون ﴾ . . . الخ في هذه الدنيا اذن لا سبيل الى الفرح . . فهي سجن المؤمن . . والفرح هناك في البعيد القريب ، في اليوم الآخر . . ويصر المؤمن المثقل بالحزن وكان الحزن في تكوينه يصر على الفرح فماذا يفعل ؟

يتسامى . . ولكن التسامي في هذا الزمن المريض مرصود موضوعياً بالكآبة والكآبة كانها شرطه . فما ان يفلت الواحد منا من ذاته وواقعه ليعرج في اتجاه المطلق ، في اتجاه الله ليعاقر فرحاً بالاقتراب ومجاورة الروح الكلي حتى يشعر باستحالة الاستمرار في الحال ، الا ان يسد ابواب الجوانح ويعطل الجوارح . .

لكي تصفو وتفرح انت مضطر ان تكون بلا ذاكرة واذا احتفظت بذاكرتك تنهال عليك الفجائع من كل فج من تاريخك . . تأتيك كربلاء والأندلس ويأتيك يزيد والحجاج وسلالة المجرمين مزهوين بكفرهم وبالدماء التي سفكوها . . ويلوح لك رأس

الحسين (ع) معلقا على الرمح في صحراء الشام وجسده ملقى على صعيد كربلاء ، وتنفتح لعينيك ابواب السجون في بغداد وترى اهل البيت (ع) وقد غدت السجون منتجعاتهم وتدير مفتاح المذياع . . فيأتيك الخبر عن معتقل الأنصار حوالي مئة وخمسين قضوا تحت التعذيب . ويبقى الرقم ضئيلاً نسبياً بالنسبة للذين يقضون في سجون بغداد وشقيقاتها دون ان تسمع من اخبارهم شيئا . . حتى الكعبة الحرام التي من دخلها كان آمنا . . دخلها الجنود الفرنسيون على نجاسة وبدون ختان وقتلوا جهيمان . . .

لو اردنا ان نستمر في التعداد لأقتضى ذلك ان نستعيد تاريخ الف واربعمائة عام . . هذا اذا لم نرد ان نذهب بعيدا في تاريخ الأنبياء والمظالم التي تعرضت لها الأمم من قبلنا ممن نحن وهم في حركة واحدة وسياق تاريخ واحد . .

اذن ذاكرتك تعني ان تنفتح على تاريخ المواجع . . .

فكيف تفرح ؟؟ تؤجل الذاكرة وتستغرق في اللحظة الراهنة لابأس .. انا الآن قبل يوم من العيد ، محطة الفرح المعدة للمؤمنين ، اطل من النافذة افتح عيني في الشارع ارى امرأة تتشح السواد تجر بيدها طفلا لا تبدو عليه آثار النعمة ولكنه يغري بقبلة طويلة اعرف ان المرأة عائدة لتوها من بهشت زهراء، فقد كانت في زيارة لقبر زوجها الشهيد انها تسكن مجمعا لأسر الشهداء بالقرب من منزلي هذا المجمع يصافح وجهي وقلبي يوميا في الطريق الى صلاة الجمعة وفي الطريق الى العمل وفي الطريق الى زيارة الأصدقاء في الطريق الى النزهة .. في الذهاب وفي الاياب .. هذا المجمع هو من انجاز حركة التحرر العربية ، التي تحركت ضد الاستعمار وعملائه ومن اجل الفقراء .. فلم تفتك الا بالفقراء انا ممن راهنوا على حركة التحرر العربية وصدقها ، ولكنها الآن تأكلني اكلت قلبي وعيني وسوف تأكل اولادي ولن تبقي لي شيئاً حتى حذائي .. انا الآن شهيد على لائحة الانتظار .. ان حركة التحرر

العربية التي لا تريد ان تقاتل اسرائيل ، وهذا مفهوم من سيرة الجميع وافكارهم ولا داعي للاستثناء او التوهم، تريد ان تقاتلني حتى ولو لم اقاتلها . . انها تقتلك لأنك تكتب شعرا ، تقتلك لأنك متلبس بالصدق والايمان وحب المساكين تقتلك لأنك تحلم . تقتلك اذا صدقت شعاراتها وامنت بها وان لم تجد سببا تقتلك خطأ او بالصدفة . . طيب يا اخي انا عربي عروبي قومي قوموي ضد الفرس والأتراك والأكراد والبربر فهل يسمح لي بالحياة والكرامة ؟ اسمع جرس الباب يقرع . . مهجرة عربية عراقية تبحث عن وسيلة لمعرفة اخبار ولدها السجين بعد ما عرفت باستشهاد زوجها وولدها الأول وابن اختها وابيها . . الخ .

ولكن ولدها الثاني حسب معلوماتي قتل فماذا اقول لك يا اخت العرب !. . ان لك اسوة باخوتك واخواتك من عرب خوزستان وصيدا والنبطية وصور ودير ياسين وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا . . و . . . - . . ."

كيف تفرح ..؟ تقفل عليك باب غرفتك .. لا تسمع ولا ترى ولكنهم يأتون من الذاكرة واليها .. يعبثون بدمهم باعماق الروح . فيصيبك رشاش الدم . ان الشهداء الذين اعرفهم واعرف تفاصيل وجوههم وهمومهم اكثر من الف شهيد .. ولا بد ان الذين لا اعرفهم اكثر اثارة للغضب ممن اعرفهم .. في الماضي قبل ان تنشط حركة التحرر العربية والأنظمة التقدمية والحركة الصهيونية معا ..

كنا في قريتنا العاملية نحصي الأيتام على اصابع ايدينا ونتعامل معهم بمهابة . الآن في كل زاوية من زوايا القرية شهيد فمن اين نأتي بالعواطف الكافية لتوزيعها عليهم ؟

كيف تفرح ؟؟.

لا بد ان تنتظر زمنا يأتي عندما يكبر ايتام الشهداء ويحصدوا ثمرات الشهادة نصرا ..

اما الآن فها هو هلاك شوال يدعوك الى فرح مشروع لا يهجر الواقع ولا يغرق فيه .. لا يتنكر ولا يستسلم .. فاسبغ وضوءك وهلم الى المسجد .. يصبح المسجد مدى لأحلامك « اللهم

اهل الجود والجبروت واهل الكبرياء والعظمة واهل التقوى والمغفرة .. نسألك في هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيدا ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ذخراً ومزيداً ».

وتدعو .. ﴿ **ادعوني استجب لكم** ﴾[٢] .. ﴿ **وكتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾.

تدعو وتخرج لتبدأ فعلاً جديداً باتجاه الكرامة على ضوء ويقين ..

هذه نافذة للأمل يفتحها هلال شوال تختلط فيها الدمعة بالبسمة .. يتمازجان ، ويأتي الأيتام والثكالى والأرامل .. يأتون . من حالة عالية من التسامي تبدأ مسيرة الثأر .. ﴿ ان ربك لبالمرصاد .

صدق الله العلي العظيم .





توهج اليقين شهادة *

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾.

صدق الله العلي العظيم

واضح ان في الآية تبعيضاً، ـ من المؤمنين رجال ـ وواضح ان هذا التبعيض يأتي لصالح الشهداء، من

* بمناسبة ذكرى استشهاد آية الله الصدر وعمليتي المستنصرية والوزيرية في بغداد .

استشهد منهم فعلاً ومن هو على لائحة الإنتظار، حيث ان المراد هم الذين ثبتوا مع الرسول في معاركه حتى الشهادة ، من المؤمنين رجال صدقوا الصدق هو التطابق الكامل بين الباطن والظاهر ، بين الايمان وفعل الايمان ، وقطعاً ، يتأتى للمجاهد او للعابد او للزاهد ان ينسجم إيمانه مع فعل هذا الايمان ، وفي حدوده ، ولكن حالة الانسجام هذ مهما بلغت درجتها تبقى دون التطابق الكامل .

واذا كان التطابق في احد معانيه وهو جعل رضى الله تعالى والآخرة معياراً وهما، فان عدمه او عدم تكامله يعني ان هنالك فسحة او مدخلاً للدنيا إلى الذات إلى فعل الانسان المؤمن .

في فعل المجاهد او العابد او الزاهد قد تتوفر هذه الفسحة « حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل» من هنا بعض العباد يحولون عبادتهم الى عمل انفصال عن المجتمع وعامل استعلاء وارهاب وتنفير ومن هنا بعض الزهاد يتحول الزهد في الدنيا لديهم ، وان بلغ درجة العضوية

احيـاناً ، يتحـول الى باب آخـر خلفي الى الدنيـا . .
ومن هنـا بعض المجاهـدين ، دون الشهـادة يتحـول
جهـادهم الى قاعـدة وحجة للتـراجـع ومبـرر للتعب
والمهـادنـة والخيـانـة ربمـا . . ومن هنـا ايضـاً بعض
المجاهدين يقف جهـادهم دون الوصـول الى الشهادة
بـارادة منهم وتصميـم ذلـك ان الـدنيـا تتسـرب ،
تتسلل لتفسد معادلة الايمان وفعل الايمان ، في بعض
الحـالات الثوريـة التي قـرأنـا عنهـا او سمعنـا او
شاهدناها ، تقف مسيـرة الجهاد عـلى حافـة الشهادة
ولا تصـل ، يعلق البعض هنا بـأن ابـطال هـذه
العمليـات ربمـا يـدخـل في روعهم انهم لا بـد ان
يشاهدوا اثر عملهم.ووقعه في الـدنيا لأنهم مصـروف
نظرهـم عن الجزاء في الآخـرة لذا فهم في اللحـظات
الأخيـرة يؤثـرون البقـاء احيـاء ليشـاهـدوا . هنـا
تتحول ارادة العطاء حرصاً ، يحسم التناقض لصالح
الحرص ، تستبدل ارادة الرؤ ية العيـانية البصـرية ،
المشاهدة بشـوق الشهـوة الـداخلية ، معنى ذلـك ان
الفعل الثوري قد فقد نفسه ، تيبس ، واتجه مؤشـره

نحـو الدنيـا فخـرج المجـاهـد من العهـد وانخـدش الصدق ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عـاهدوا الله عليـه ﴾، انـه تمييـز للشهـداء، فـالشهـادة ذروة الصـدق . . هي قمـة الخط البيـاني الصـاعـد في المعاهدة التي يبرمها المؤمن مع ربه في لحظة الايمان . . منذ اقـراره بوجـود الله ووحدانيتـه حيث يترسـخ اليقـين بـالغيب ويتم الانحياز للعـدل ، ليس هذا انتقـاصـاً من قيمـة الآخرين ، ليس هـذا انتقاصـاً من قيمتنـا نحن الذين لم نبلغ شرف الشهادة . ولكنه تأكيد على ان الشهادة التي هي الذروة غير مشبوه بالدنيا ، لانها بنت اللحـظة التي تتخذ فيهـا القرار بالإضراب عن المتـع الزائلة ، المغـرية والمشـروعـة في آن . . لكنهـا زائلة . . باتجاه المتع الخالدة الباقية متع الجنة والنعيم في رضوان الله تعالى وبذلك تصبح الشهادة لـونـاً من السمو الارادي على البعد الدنيوي من علاقـة المؤمن بالأهل والارض والأصحاب والتاريـخ . . سمـوا بهـا الى علاقة ارفـع واعمق تحول هـذه الامور كلهـا من قيمة يتناغـم فيها بعداهـا المادي والمعنـوي ويغتني كل

منهما بالآخر وذلك لدفعها - اي هذه الامور - عبر البذل الى كنف الله، اضافتها اليه باعتباره مصدرها ومآلها ، ووضعها في عهدته كما هي ، لضمان اقصى درجات الروعة والجمال بالفعل . .

بقدر ما يكون احتمال النجاة عند المجاهد ضعيفاً بقدر ما يكون قرار الشهادة جزيئاً ومكتملاً. هنا شهادة الحسين (ع) في القمة جرأة واكتمالاً ، لأن ذلك الاحتمال فيها معدوم (الآن اذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة فلات حين مناص) شعر ردده ابن زياد في كربلاء، لقد كان احتمال النجاة عند الحسين (ع) يقوم على معادلة اخرى تختلف جذرياً عن المعادلة التي اوصلته الى الطف (الاصلاح في امة جدي) المعادلة الأخرى تقتضي البراءة من فعل الايمان الخروج والفصل بين الايمان وفعله ، الرضى بالجور ، قبول الذلة (وهيهات منا الذلة) والجمع بين الايمان ونقيضه ، وهذا مستحيل لأن الفعل المهادن في هذه الحالة يمسي خيانة لا فعل إيمان . . واذا كان الايمان يستدعي العزة ولا يكون

فان وضع احتمال النجاة في حساب الحسين ينفي العزة (لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل) ومقابل نفي هذا الاحتمال بالنجاة من ضمن منظور دنيوي ومحدود ينهض يقين آخر بالخلاص الاكيد . . . (اذن لا نبالي ما دمنا على الحق وقعنا على الموت ام وقع الموت علينا) في لحظة حسينية يدخل الشهيد سمير نور علي) المستنصرية وحيداً الا من الله في الداخل ورماناته بين الاصابع . . يدخل في غابة من الاعداء تكفي اظافرهم وحدها لازهاق روحه وتقطيع جسده . . وتكفي معرفتهم به ليفعلوا ذلك من دون حاجة لان يروا رمانته . ان قرار الشهيد هنا يأتي من اصرار على التطابق وعلى الصدق في احلى صوره وارفع تعبيراته من التواصل مع الحسين (ع) . . من تحويل الحسين (ع) من رمز مقطوع عما يرمز اليه الى نموذج قابل للتكرار مستدع لهذا التكرار ، لا لشخصٍ ، وذلك بالذات هو معنى الحسينية و(كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء) ان تكون حسينياً لا ان تكون الحسين بل ان تكون في الخط ، في

السياق ، سياق التطابق والصدق ، سياق الشهادة ، تستشهد او تنتصر في كل حال يكون فعلك فعل ايمان يضارع فعل الشهادة نسقاً وغاية ، ان تكون في خط الحسين (ع) ان تعتبر نفسك مسؤ ولاً كما كان الحسين (ع) ان تقاتل واضعاً النصر في اعتبارك او الشهادة .

ولكن على انها نصر في المعطي ايضاً، لأنها بالقطع خطوة على طريق نصر يأتي . . ان الاحتمال الآخر المغاير للشهادة في خاطر الشهيد انه ان لم يستشهد او ينتصر فان الجائر يبقى والجور يسود . . يبقى يزيد . . وهو المؤمن ، الشهيد والمنتظر ، مكلف بالقضاء عليه فان لم يكن ذلك في المتناول فليس اقل من ازعاجه واقلاقه بالشهادة تمهيداً لاسقاطه ، هنا تسقط الحسابات ، يتحول الشهيد الى نقطة الى حيز معنوي ومادي مضيء في طول الخط الحسيني وعرضه ويقاتل مراهناً على النهايات على الخواتيم . . لم تسقط السلطة الأموية مباشرة بعد استشهاد الامام الحسين (ع) ولم يسقط النظام

الشاهنشاهي مباشرة بعد استشهاد نواب صفوي وغفاري وسعيدي .

(اتى أمر الله فلا تستعجلوه) ولم تتحرر خرم شهر عندما سقطت الارتال الاولى من قوافل الشهداء ، وفلسطين لن تتحرر الا عندما تأكل من جسم الامة وارواح ابطالها ما يوازي حجمها الاسلامي .

ويقتحم الشهيد ابو خالد صفوف المشيعين . . مشيعي قتلى عملية المستنصرية ، والمشيعون غاضبون ،غضب الكافر، والغضب الكافر لا ضابط له ولا مانع من الفتك والجريمة . . يقتحم شهيدنا هذه الحالة من الغضب من يقين بالشهادة ، يتحول الجسد الطاهر الى خادم مطيع للروح المتمردة المجاهدة لتسلم اللحظة الدنيوية الراهنة لليوم الآخر، يتطابق الايمان في غمرة من الفرح النبوي والرضى والامل .

هنا تفترق الشهادة عن الانتحار ، الشهادة جرح

للمسافة نحو الله ، الى جواره ، والانتحار فعل قاصر يتم في نقطة الانفصال عن الله والاغراق في الذات والايغال في الشخصانية ، وهو حل مرضي لازمة ما ينفي الوعي او يحدث في غيابه ، بينما الشهادة توظيف الروح والجسد في لحظة وعي مكثف في سبيل قيمة ابعد من الذاتي والشخصي ، والانتحار دليل على غياب العقيدة والشهادة شاهد على حضورها ، وهما بالتالي سلوكان حضاريان ، فالانتحار علامة سقوط حضاري بدائي في عمقه إذ تلتقي هنا في الجوهر حضارة الغرب في القرن العشرين التي تحت ضواغطها تنتشر ظاهرة الانتحار تلتقي مع البدائية على ان هذه ، اي البدائية لها ما يميزها عن تلك ، بينما ينهض الإسلام مناخاً حضارياً مغايراً يمسك الروح والجسد عن مهاوي السقوط ويرفعهما الى الشهادة . . الشهيد يلغي الحسابات ، الا حساباً واحداً حساب توظيف دمه في اغراق سيوف الظلمة وتثليمها ، ذلك عندما يتحول دم الشهيد الى أمثولة يقرؤها المجاهدون ويمثلونها ،

يستشهدون او ينتصرون ، من هنا الشهيد معلم وذلك هو معنى الخلود ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون﴾ . .

هنا تطل علينا قامة الشهيد الصدر راحمة سامقة مثقلة بثمراتها اليانعة . . لقد كان الشهيد الصدر في حياته الغنية اثراً ، يوسع من اهتماماته الفكرية الرسالية من واقع حرصه على تقديم خارطة لمجمل الأفكار والقيم والهموم والطموحات الاسلامية . . ذلك يعني انه كان يعمل على تهيئة مناخ شمولي لاطروحة حضارية تذهب في القناعة عمقاً وافقاً ، تقنع الداخلين فيها بوجاهة الجهاد وجدارة الشهادة . .

كان للمجاهدين والشهداء معلماً ، في حياته قبل شهادته ، وعندما انتصرت الثورة الاسلامية ورأى حلمه القيادي يتحقق سارع الى الشهادة . . . عندما سارع الى المجاهرة بالولاء للامام امام الأمة ، والذوبان فيه والدعوة الى هذا الذوبان ، ضارباً عرض الحائط بكل مغريات الانفصال والتمايز

والحسابات الخاصة التي يجربها من ينقلون العلم والاجتهاد من اطاره التاريخي الحضاري الربادي الى اطار فردي ضيق ومحدود ويحولونه الى قاعدة لمشروع دنيوي خاص. . .

ثم استشهد القائد الصدر ثالثة ببذل الروح ، ليثبت ان الشهادة ترصد امثاله وتترصدهم . . ليثبت ان امثاله منذ لحظة فعلهم وايمانهم الأولى هم مشاريع شهادة . . تتحقق تكتمل بالقتل ليترجمها المجاهدون بعد ذهاب الجسد شهادات تتراكم نصراً وعزة وكرامة . . .

اخيراً ، لا بد ان نقف ولو باختصار شديد عند ملمح خاص في استشهاد الشهيدين السعيدين سمير وابو خالد . . في المستنصرية والوزيرية . .

هناك مارقون منحرفون ومجرمون وخونة كثر . . ولكن طارق حنا عزيز ، هدف العملية له خصوصيته ، انه يمثل المرحلة التي انكشف فيها المشروع القومي العربي في جذوره . . .

هذا المشروع حاول على لسان بطريركه ميشيل عفلق ، ان يقول بانه يتحرك على قاعدة فكرية تأخذ الاسلام باعتبارها . . ورغم ان الاسلام هو اكثر من حيثية او مرحلة في كيان امتنا وتاريخها . . فان البطريرك كان يدرك عمق الإسلام فينا ويدرك عدم امكان تجاوزه او معاداته صراحة . . يعني ان مشروعه القومي لم يكن الا مشروعاً نقيضاً . . وكان يعني ولو مسخاً للاسلام .

طارق حنا عزيز ، ويجب التأمل عميقاً في الاسم ، وكأنه معد بوعي منذ ولادته لدوره . .

طارق هذا يمثل مرحلة الانكشاف الكامل عندما يصبح مقرراً اساسياً في السياسة القومية العربية في معركتها ضد الاسلام . . يمثل مرحلة سقوط ورقة التوت عن سوأة المشروع القومي ويكشف ان قيادة الصليبيين للمرحلة القومية ليست صدفة او نتيجة عملية ديمقراطية لم نعثر على شاهد لها حتى الآن . . . ويكشف أيضاً ان هذا المشروع ليس مشروع العرب بما هم مسلمون ، بل هم

جاهليون ، دورهم ان يتابعوا المعركة الجاهلية ضد الاسلام بما يقتضي من دور متميز وفاعل لكعب الأحبار ووهب بن منبه وامثالهما . .

وانه لحري بالملاحظة ان نرى الغرب الأب الحقيقي للولد القومي الشرقي عامة والعربي خاصة، وقد اغرق كل ما في جعبته من منشطات للمشروع الصهيوني والعربي معاً في مقابل الاسلام حيث انسحب القومي العربي امام الصهيوني ووقف في وجه الاسلام ليكشف بالتالي ان نقطة البداية ونقطة الوصول المرسومة غربياً واحدة . . نرى ذلك قد حدث في اللحظة التي استكمل فيها المشروع الاسلامي كل مستلزمات النهوض والعودة الى مساره الحضاري . .

لذا فاننا في كثير من المفارقات والمفترقات الحضارية والمتحولات الكاشفة سوف نبقى مدينين لهذه الثورة الاسلامية المباركة ولقائدها الأمين وشهدائها البررة بما تزيح عن اعيننا من غشاوة بعد غشاوة . لقد كانت الغشاوة قد سقطت نهائياً عن

عيـون شهيدينا عندمـا تحركـا في اتجـاه فعـل ثـوري واتجهت انـظارهما نحـو الآخرة . . عنـدما تـوهج في اعماقهمـا يقـين الشهادة . . يكفي شهـداءنا الأبـرار فخـراً وكرامـة ان من يظهـرون في الـدنيـا عـلى انهم يفـوقونهم جـاهاً ومعـرفة ولمعـاناً ، يشعـرون امامهم بـالتواضـع . . يكفي التلميذ فخـراً ان يصبـح معلماً لاستاذه . . رحمهم الله جميعاً ورحمنا بـرحمتهم واعطانـا شـرف رعايـة ما بـذروه حتى تجني الأجيال نمـاءة عزة الله ولرسوله وللمؤمنين . .





منذ اشهر وحجة الاسلام الاستاذ السيد هاني فحص يكتب في الشهيد في اكثر من حقل ، بلغة مختلفة نسبياً عن مألوف قرائنا ، ويطرح قضايا تلك سمتها ايضاً .

ليس هذا تقييماً من قبلنا او حكماً ، ولكنه اثار بعض الاحاسيس والتساؤلات عند عدد من القراء بعضهم غضب لكثافة اللغة وحداثتها ، وبعضهم

تساءل عن الغاية من بعض الكتابات ، وآخرون لاحظوا ان هناك تجربة ومعاناة ما تتسرب من خلال الكتابات . . كل ذلك اراد القراء ان يستوضحوا عنه الكاتب نفسه فكتبوا الى المجلة التي جمعت التساؤلات في اطار واحد، طرحتها على الكاتب فكانت كما لو نكأت جرحاً عميقاً . . دخل الاستاذ هاني فحص مع المجلة في مكاشفة واسعة فيها الكثير من الحزن والألم والرجاء ايضاً .

***

الشهيد : من انت ؟ وماذا قدمت ؟ ماذا كتبت ولماذا ؟ اين انت الآن ولماذا ؟ الى اين تتجه ؟ رجل دين من جنوب لبنان في طهران ماذا يعني ذلك ؟ .

كتبت ما يشبه الشعر ، تحفظ أسماء الشعراء المعاصرين . . والشعر الحديث على لسانك . . الحداثة سمة انتاجك ، اسلوباً ولغة ، هل توفقت الى التوفيق بين الاصالة والمعاصرة بين الحداثة والتراث ؟ هل حسمت امرك بين الشعر الحديث

والقديم ؟ بين الشكل والمضمون . ؟

كتبت عن المسرح .. انت رجل دين ماذا تريد ان تقول في هذه المسألة ؟ .

***

يبهطني ان اكثر أمانيّ القاً هي اكثرها تعرضاً للاحباط .

انا هنا لا افتتح خطاباً سياسياً ، بل افتح ملفاً شخصياً .

في أول السطر : انا ابن فلاح .. في لحظات ضعف اعرفها احاول ان اخرج من جلدي ، ان اكون حضارياً ! ولكن دمعتي السخية وضحكتي الفالتة ، ومخارج الحروف من شفتي .. ودهشتي تفضحني ، فتعاودني امنيتي في ان اغادر نقطة الوصول التي انتهيت اليها ، واسترجع كل هناتِ الطريق ، استحضر صور كل الجياد العرجاء التي وصلت ، واتساءل بعصبية : ما الذي اغراني بالوصول ؟ .

ورغم اني لا اكف عن التشبث بما تبقى من صدقي وعفويتي ، فان اعراض الوصول تنتابني من آن لآخر . وفي لحظات وعي نسبي أتصور هول الجحيم الذي يعيش فيه بعض من وصلوا ولم يفقدوا صدقهم . . . واحمد الله اني لم اتعدّ اولى درجات السلم التي ما انفكت تهتز تحت قدمي ، واني باستمرار مرشح لغياب قد يأتي وينقذني من قرفي ، لقد اكتشفت ان موقعي الاكثر تماثلاً مع تركيبي الداخلي هو ان اكون واحداً ، غير متمايز عن اهل ضيعتي في جبل عامل .

هل تعلم أن الانتفاضة الشعبية الجميلة(١) ـ ودعنا من الزبد فهو غثاء ـ التي استعاد بها اهلي في جبل عامل حالة العداء للعدو الصهيوني ، بعدما تظافرت الجهود العدوة والصديقة لهز هذه الحالة وتدجينها ، وكادت ان تنجح لولا أن الأهل قد عادوا إلى اصلهم ، الى اسلامهم . . . هل تعلم ان هذه

---

(١) انتفاضة شهر آذار ١٩٨٣ على اثر اعتقال الشهيد الشيخ راغب حرب .

الانتفاضة قد حدثت في ضيعتي ؟ وان والدي الفلاح الذي يتهجى حروف القرآن كل صباح ، وان امي الأميّة قد شاركا فيها مشاركة فعّالة .. بينما اكتفيت انا هنا بتحليلها مستخدماً كل الادوات المساعدة على التشكيك في نتائجها ! وعندما برئت لساعة ، من وعيي السياسي واحترافي التحليلي ، واندمجت في الحالة الشعبية عن بعد ! ، كتبت عنها مقطوعة ادبية على طريقة (اشبعتهم مدحاً وراحوا بالمجد) ! .

اما لماذا لم اكن في الانتفاضة فاليك : انا لا يمكن ان ادخل القرية لان فيها العدو الصهيوني .. هكذا اعتقداو اتوهم او يوهمني كل من قاتلوا العدو الصهيوني على طريقتي ، لا استطيع ان ادخل لأنهم سيعتقلونني .. تصور ! انا الذي كتبت عن الشهداء كثيراً وحرضت على الشهادة اكثر ... تشح نفسي على القضية بساعات من الاعتقال ! وكأن الكون سوف يتعطل ! اني انسى في حالات ورمي هذه ان المقابر ملأى بمن ظنوا انهم اذا ماتوا فسوف تتعطل حركة التاريخ ! بينما والدي وكل النكرات ـ انا

معرفة ، علم ، لأني لي بعض المؤلفات وظهرت صورتي كثيراً في الصحف مع بعض الكبار حقاً أو كذباً ـ والدي وكل النكرات يمارسون فعلهم الحضاري فعلاً بدرجة عالية من اللياقة والايمان ، وقدر قليل من الأناقة والوعي المزيف والانانية و« البارانويا » امراضي الشخصية والنوعية ! (إن هذا العدو غبي يريد أن يعاقبني على مجد لم أرتكبه) .

من اين يأتي هذا الوضع ! من كوني قد « ناضلت » ! ضد اسرائيل . . . والنضال حسبما اصبح مألوفاً في اوساطنا نحن معشر المتعلمين ، يستدعي درجة من الإنفصال عن السوية العامة ، عن « العامة »! عن الجماهير ! اي الاستعلاء النخبوي بالتالي . . . ومن هنا يبدأ الضجيج، لقد دخلت في المشهد، صعدت الى الخشبة ، خرجت من حالة النضال الى مشهد النضال، تمسرحت نضالياً كما تقتضي وترشد كل الادبيات السياسية التي قرأتها مترجمة الى العربية .

ماذا كانت النتيجة ؟ دعني هنا أُتطامن امام كل

قطرة من دم اريقت على طريق فلسطين . . . كانت النتيجة . . اني وانا «النخبوي» عرفت كيف افلت من الشهادة التي زينتها للآخرين . يقول الامام « زين العابدين » عليه السلام « ان بعض الناس يدعون اخوانهم الى الجنة ويزينونها لهم ولو كانت الجنة كما الدنيا في ايديهم لما تخلوا لهم عن شبر واحد منها » . .

وها أنا استعرض نضالاتي في المنافي الجميلة !

كانت النتيجة هي إحساسي بالمقامرة .

لان الدليل ، الذي اتخذته على طريقي الى فلسطين . . لا يوصل إلا عبر جلالة الملك اياه ولكن إلى اين ! اليس مقامراً من يقضي زهرة عمره وهو يناضل ضد الامبريالية ليجد نفسه في نهاية المطاف على بابها الموصد ؟ !

عندما يخسر المقامر يشتاق الى زوجته وبيته واولاده . . . يشتاق ان يعود اليهم واحداً منهم يصرف وقته معهم ويفعل فعلهم ، يتوب .

ولكني مقامر من نوع آخر . . . اني احاول العودة الى اهلي لافعل فعلهم . . ولكن العودة مستحيلة ،

او هكذا اتصور هذا ما قدمت . . . انا لا اخرج من ذاتي وفعلي ـ قولاً وعملاً ـ ولكني ارى فرقاً بين ان اكون جزءاً من حالة نضالية هي الأصل وهي فرس الرهان ، وبين ان اكون منفصلاً عن هذه الحالة ، متوهماً اني اقودها من موقع الانفصال . . وان اكتب عنها . . . هنا تمسي الكتابة فعلاً قاصراً . . . تعويضاً عن عجز . . . لقد كان بامكاني ان اكون هناك . . . ومن هنا عذابي الآن . . . يعوضني بعض الشيء اني في طهران ، حاملاً همي المتأتي من إشكاليتي تلك ، يعوضني لأني في جوار الامام الخميني القاطع ضد الامبريالية واسرائيل ومع الوحدة والعدالة . . . ما يميز قطعه انه ليس خطاباً سياسياً يحمل نقيضه باستمرار ، بل فتوى لا يمكن الرجوع عنها بسهولة .

اعتذر بأني لم ارد الآ فتئات على المثقفين الجادين ونضالاتهم ولكن بالنسبة لي . . . ولكثيرين من امثالي ، كان الأفضل ان لا اكون طرفاً ، او موضوعاً لسؤالك ، بل ان اكون جزءاً من حالة تكتب

عنها . . .

اسمح لي ان استرسل في مكاشفتي ، لأنه من العسير عليَّ ان اجد غيرك من يفقأ هذا الدمل . . .

قد تتهمني بـ « الماسوشية » التي هي في النهاية « سادية » محبطة غيرت اتجاهها نحو الذات . . لا ، فأنا متفقه لست متأكداً اني وقعت في الحرام ، ولكني وقعت في الشبهة دون شك « وسميت الشبهة شبهة لشبهها بالحق » هنا التمس العذر وارجوه . . . ولكن . . . « في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب » سيعاتبني ربي دون شك . . . وقد عاتبني ابي كثيراً، ولكن لم اكن اعير لعتابه اهمية ، لأنه لم يقرأ « غوركي » او « فيشر » او الخ .

هنا المفارقة . . ولا يدركها الاّ من يعاني آثارها .
قدمت . . هنا وهنا ؟

بلى . . تصدرت حركة مزارعي التبغ كأي طاووس أبله اواخر عام ١٩٧٢ في جبل عامل بعد سنتين ، لم تكن الحركة قد حققت شيئاً للمزارعين

ورشحت للانتخابات النيابية الفرعية في منطقتي ، كان النجاح مقدراً ولكن الله ستر وعدلت عن الترشيح في اللحظات الاخيرة . . . اتصور اني قضيت سنوات من عمري تحت قبة البرلمان اللبناني . . معنىٰ ذلك ان ينطفىء في داخلي كل ما يضيء من اللسان الى القلب ، حزمت حقائبي استعداداً للسفر الى فلسطين شهيداً ، او عائداً ، واصدرت بياناً تبنيت فيه كل العمليات البطولية ، ولاءات الخرطوم ، ولكن فلسطين عادت الى عهدة « حسين ايلول » . . . فمن اين ادخل ؟ .

حملتني امنيتي المحبطة الى طهران . . . حقائبي هنا الآن . . اشكاليتي في حقيبة ، وهمي في اخرى . . . واذا لم تصبح الطريق الى القتال سالكة فسوف اقضي كمداً بين حقائبي .

هنا يسعفني اني « رجل دين » . . . رغم كراهتي للتصنيف الذي هو انفصال . .

يسعفني من حيث هو يلزمني بالأمل .

لأن اليأس من روح الله كبيرة قد تجر الى الكفر . . . وانا مؤمن وقراري نهائي ، قرأت كل الكلام المغاير ، ولم يعد يغريني . . . اخاف الله ومن هنا فاني اتماسك .

اقرأ الغثيان الوجودي والعبث واللامعقول ولا يراودني الانتحار او اليأس .

اغضب وارضىٰ ولا اقع في معصية تحت وطأة الرضا او الغضب ، تبدأ معي من نقطة كوني جنوبياً لبنانياً ؟ .

ان هذه النسبة تضطهدني وتجلدني . . . والمح من ورائها عيون (سايكس ـ بيكو) تنم بالكبرياء الفاجرة .

من اين اتى هذا الجنوب . . .؟

ولماذا تسللت مصطلحاتهم الى لغتنا ؟ .

أنا من جبل عامل ، . . . اهلي عقدوا مؤتمراً حاشداً في « وادي الحجير » عام ١٩٢٠ وطيروا برقية الى دمشق يعلنون فيها تمسكهم بجبل عامل جزءاً

من سوريا بحدودها الطبيعية ، وبعد معركة ميسلون خاضوا قتالاً مشرفاً مع الاستعمار الفرنسي لتثبيت هذه المسألة ، وهزموا فأتبع جبل عامل بما سمي وقتها « لبنان الكبير » الجنوب . . . ! ان لغتهم تتسلل الى لغتنا كما لو كانت تعمل تحت امرة جهاز معين يمهد عبر اللغة لاتخاذ قرارات مصيرية .

كفانا تجزئة . . والا انقسم الواحد منا على نفسه . . انا موحد وحدوي .

الا ترى في الكلام عن الحداثة والتراث الاصالة والمعاصرة ، الشكل والمضمون تطبيقاً للتجزئة في المستوى الثقافي ، الأساس لأي تجزئة اخرى ؟ .

ان التاريخ عندما « يؤنسن » اي يكون الانسان محوره ومداه الحيوي يكف عن ان يكون ارقاماً وفواصل يصبح سائلاً جارياً . . الّا ان يتدخل عامل خارجي اجنبي وغريب تكويناً وطموحاً ونمط علاقة بالمجرى والجاري . . يقيم سداً، يقتحم المجرى ليفصل ، ليوظف جزءاً من الجاري خارج سياقه ،

في سياق آخر مغاير . . . لقد اخذوا ببناء السد منذ ان فتحوا اعينهم على ثرواتنا المادية والفكرية ، وعاينوا اسس استقلالنا في تمايزنا عندما رأوا ان تواصلنا التاريخي يعني نفيهم من سياقنا ، وهم يريدون ان يدخلوا هذا السياق ليوظفوه .

دخلوا . . دلفوا من شقوق . . . هم احدثوها طبعاً مع الاستفادة من ظروف داخلية مؤاتية . . اصبح هناك تراث وحداثة ، اصالة ومعاصرة ، نحن التراث وهم الحداثة . . تاريخ المعاصرة . . معاصرتنا هو تاريخ تداخلهم معنا ، ادخلونا في التاريخ . . . ! كانت اطروحاتهم وما تزال تعتبرنا خارج التاريخ الى فترة دخولهم الى حرمنا .

المهم انه يوماً بعد يوم يتأكد ان بنيتنا كانت عصية على التداخل من حيث تشكيلها الداخلي ، شواهد التداخل هي خارج البنية وعلى سطحها ، هي حالات انفصال من « سلامة موسى » « شبلي شميل » الى « رفاعة الطهطاوي » الى « طه حسين » وحتى «محمد عبده» بعد غياب الأفغاني ، وبعد عبده

وعلى طريقه « محمد رشيد رضا » . . . لا تنس تقي زاده رجاء ـ اننا نتحدث عن البنيوية ـ رغم توبة التوسير وجنونه من بعد ، في حين نمارس اقسى درجات الفصل بين المستويات المتعددة والمتكاملة للبنية الواحدة ، والا فكيف نضع الثقافة في الفراغ ، في المطلق ، ونتحدث عن حداثة وتراث (تقليد) . . . وحتى متى الفصل بين السياسي والثقافي ، الم تكن ثقافتهم ، الأعداء ، الغرب دائماً ، ممهداً لمشروعاتهم السياسية ، لنقرأ وثائقهم . . .

مثلاً تقرير لجنة الاستعمار الغربي المعروف بتقرير « كامبل بترمان » لندن ١٩٠٧ م يقول : « ان الخطر على كيان الامبراطوريات الاستعمارية يكمن في الدرجة الاولى في هذه المنطقة (منطقة حوض البحر الابيض المتوسط الجنوبي والشرقي) وذلك في تحريرها وتثقيف شعبها وفي تطورها وتوحيد اتجاهات سكانها ، وفي تجميعها واتحادها حول عقيدة واحدة وهدف واحد . . . فعلى كل الدول ذات المصالح

المشتركة ان تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة مجزأة ومتأخرة وعلى ابقاء شعبها على ما هو عليه من التفكك والتناحر » وقد اوصى التقرير بالعمل على منع ارتباط شعوب المنطقة بأي رباط روحي او فكري او تاريخي، وبفصل الجزء الآسيوي عن الجزء الافريقي ، باقامة حاجز بشري وقوي يكون قريباً من قناة السويس وصديقاً للاستعمار وعدواً لسكان المنطقة . . ما عدا الحكام طبعاً ! .

اين تقع حملة نابليون من هذا التقرير ؟ اين يقع احتلال الجزائر ومحاولة الحاقها بفرنسا وفرنستها ؟ اين تقع كل مشروعات التغريب من ساحل العاج الى ايران ، ومن أندونيسيا الى رأس الخيمة ؟ وأين تقع حركة الاستشراق ؟ .

يا اخي اسمع « عبد الحميد بن باديس » يقول : لو طلبت مني فرنسا ان اقول اشهد ان « لا اله الا الله » ما قلتها . . . ولننظر اليه وهو يواجه الدعوات المشبوهة الى تحرير المرأة الجزائرية ، من اجل تمرير الفرنسة في الجزائر ، طبقاً للمقياس

والمصلحة الفرنسية . . . يواجه ذلك بالدعوة الى ابقائهن اميات كي ينجبن المزيد من الشهداء في معركة التحرير . . بدون تعليق . . . دعني أجد في ذلك رؤ ية اكثر عمقاً .

لنقرأ وثائق المؤتمر العربي الاول الذي انعقد في باريس عام ١٩١٣ حيث صوت المؤتمرون بالاجماع ! ضد ادراج بند حول الاخطار الخارجية على المشرق العربي على جدول اعماله ، تحت حجة انه ليس هناك اخطار خارجية ! هذا الكلام قيل عشية الحرب الكونية الاولى . . لقد وقف المؤتمرون جميعاً ليقولوا : اننا متخلفون ولا سبيل الى تقدمنا الاّ بتقليد الغرب والأخذ عنه دون حساب ، وقالوا تصريحاً وتلميحاً ان الاسلام هو سبب تخلفنا لانه شكل حاجزاً بيننا وبين الغرب . . بعد الحرب الاولى بلغ بعض من حضروا هذا العرس القومي باطروحته ، مداها المرسوم من الأصل ، ونادى بأن ما يريده من الاستقلال عن السلطة العثمانية هو احتلال الغرب لبلادنا . .

ولنقرأ ما قاله السلطان « عبد الحميد الثاني » في نفس الفترة ، طبعاً عبد الحميد الثاني في قاموس حركة التحرر العربية مرادف « للتخلف » ! يقول عبد الحميد : « ليس من الصواب القول بأني ضد كل تجديد يأتي من اوربا ، لكن العجلة من الشيطان ويقابل العجلة الهدوء والاعتدال . . . يجب ان نضع نصب اعيننا ما تفضل به الله علينا . . ليس الاسلام ضد التقدم لكن الأمور القيمة يجب ان تكون طبيعية ، وان تأتي من الداخل وحسب الحاجة اليها ، ولا يمكن ان يكتب لها النجاح اذا كانت على شكل تطعيم من الخارج ».

بالله عليك ، دعنا مما قاله « هرتزل » عن عبد الحميد . . أليست هذه هي المعادلة الصحيحة ان لا ندخل مع الغرب في الحوار من الموقع الذي حدده . . ان نقطع معه اولاً ثم نستكمل شروط الحوار ونبدأ ليكون حواراً حضارياً بحق .

كيف يرد هؤلاء على ما بدأ يتلمسه المنصفون المعانون في الغرب من ضرورة أن ينفتحوا علينا . .

على اسلامنا لينقذوا حاضرهم ومستقبلهم ؟ اني اتساءل، هل يمكن ان نتقدم واقعاً، واسرائيل قائمة ؟ والاّ فلماذا كانت ؟ هل هي مشروع عبد الحميد ، او هي مشروع من عاداهم عبد الحميد ؟ لماذا ظل « هرتزل » موتوراً من عبد الحميد حتى آخر لحظة من حياته ؟ لأن عبد الحميد متخلف ؟ ام لأنه رفض التخلي عن الذات امام دعوى حضارية زائفة ، ورفض اسرائيل ؟ !

هل هذا تجديف ؟ اني مقهور ومن حقي ان اجدف . . . انه تجديف بمعايير حركة التحرر العربية . . ولكن من يستطيع الآن ان يؤكد ان هذه الحركة قد امتلكت وعيها مرة واحدة ؟

اقول والتاريخ يعيد نفسه . . . ولكن هذه المرة اختلفت المعادلة اطرافاً وعلاقات وموازين قوى « التاريخ يعيد نفسه » تختلف في سياقه التفاصيل والجزئيات وتظل المبادىء والقيم واحدة . . . اقول لماذا الجميع موتورون من الامام الخميني الآن . . الغرب فهمنا ! والشرق فهمنا ! وهؤلاء الحكام ،

واولئك السلاطين ، وتلك القوى التي سميت طويلاً قوى تحرر وتحرير . . . ! لماذا هؤلاء موتورون من الامام في حين قد بلغت اسرائيل ذروتها خطراً وتغطرساً . . . مشكلة الامام معهم انه كشفهم .

يقول الامام الخميني في رد على سؤال « للوسيان جورج » مندوب « لوموند » في باريس عام ١٩٧٩ . . « ولكن الشاه ينفذ سياسة الامبرياليين ويحاول ابقاء ايران في وضع متخلف ورجعي . . وحينما يزعم الشاه بانه يسير بايران نحو بوابة (الحضارة العظمى) انما هو يكذب . . . وعندما نقلب نظامه سوف يحاسب على كل ممارساته المعرقلة لتقدم وتطور الشعب اقتصادياً وثقافياً » .

هل كنا بحاجة الى حصول كل ما حصل من مآسٍ ؟ .

هل كنا بحاجة الى انتظار حالة الدمار التي انتهت اليها حضارة الغرب في المجتمع الغربي . . ؟ لندرك ان التهمة من الأساس لا توجه الينا . . كان هناك باستمرار من ينتمون بثقة ورؤ ية واثقة ثاقبة ليقولوا

الحق . . .

كتاباتي ؟ في كتاباتي السياسية ، كنت غـوياً وقعت في لعبـة الحـداثـة . . . ولـذا فـاني لم اصـل . . اني ابحث بـالسراج والشمعـة عن انسان عـادي ، غـير مثقف (اصـطلاحـاً) قـد قـرأ كتـابي « مشـروعـات اسئلة » فـلا اجـد . . . اني بهـذا الكلام اكشف الكثيـرين . . قد يعتـرض معترض كـأدونيس مثـلاً عـلى هذا الكـلام المجاني ؟ ويتهمني بـالابتزاز ويبـرر بأن عدم الوصول ـ اي ايصال الافكار الى الآخـرين وتحويلها الى قناعات او مـوضوعـات حوار ونقـاش ـ كثيراً ما يكون سببه فقدان الأهلية لـدى المخاطب او المتلقي ـ التخلف المعـزوفـة ايـاهـا ! ـ وذلـك ليس انفصالاً او فشـلاً ! الفـلاسفـة مثـلاً لا يصلون الى العـامة . . . ولكننـا في كتابـاتنا السيـاسية خـاصة ، نتعاطى اموراً عامة ، للعامـة ، وخارج العـامة لا قيمـة لها ، اذن كـان يجب ان اصل ولم اصـل . . اكتشفت اني سقـطت في لغتهـم . . فيـما هـربت منـه . . وعلى اي حـال فـان الهـروب لا يكفي

للنجـاة ، قد يقـع الهارب فيـما هـو ادهى ممـا هـرب منه . . وهكذا وقعنا في شبكتهم اللغويـة . وقعنا في لغة مصطنعة كانت وما تزال لغة يابسة ، تصلح لأن نسقط عليها همومنا الجمالية ولكنها لا تصل .

ادبياً في كتابي « اوراق من دفـتر الولـد العامـلي » اقتـربت اكثر ، لأن اهتمـامي انصب على تفـاصيـل القلب ، والقلب صنيعة العامـة ، ان اجمل لحـظات حياتي هي التي كنت ارى فيها النـاس ـ لا السفهاء ـ تستعيد خطابي الأدبي ، لأنه منها ، بينما كانت تنام او تغضب وتنسحب امـام خـطابي السيـاسي المكتـوب فاضطر ، حتى استعيـدها ، ان انحي اوراقي جـانباً واعـود لاغترف من همـومها ، ارتجـالاً ، مستخـدمـاً دلاءهـا اللغويـة . . . ومـا كنت في ذلـك اشكـو من سقوط لغوي ، أو انكسار نحوي ، أو ابتذال تعبيري .

جماهيرنا ذواقة شرط ان نكون ذواقين !

اصـالة ، معـاصرة ، حـداثـة تـراث ؟ لنصـوب الاهتمام باتجاه آخر غير الذي رسمه لنا الآخـرون ، الغـرب ، الاعـداء دائـماً ، لنقـاتـل معـركتنـا ، لا

معركتهم ، لنكن نحن انفسنا لا غيرنا ، لنكتب ادباً كما تجري الحياة ونحن نعرف كيف نتجنب السقوط في :

« الواقعية الطبيعية » و« الفوتوغراف » و« الميكانيكية » ان في الالتزام ، اذا نبع من رؤ يتنا الحضارية المتميزة ومن قيمها ، فسحة للتمايز الجمالي بين التعبير الادبي وبين الواقع الذي يعكسه . . على ان للواقع جماليته ، وهذا القرآن شاهد ، وهو وحي ، ولا يجوز لنا ان نزيف جمالية الواقع لنصطنع جمالية « ذهنية » نفرضها عليه ، ان ذلك ينتهي بنا الى الذهان فالهذيان . . نتعامل مع الواقع من نقطة الاتصال والتواصل معه ، من نقطة التوحد ، ونحن موحدون ، لا من نقطة الاشراف عليه تحت ضغط اطروحات نظرية مستعارة وقسرية .

انك تستدرجني للحديث عن الشعر والشعر الحديث خاصة ، وانا رهن هذه الحالة من الغضب . . . اقول لك : لن تجرني الى الذهاب الى

« اليـوت » ولن ادخـل في مقـارنـة بـين « ادونيس » و« الشنفرى » . . ودعني احل المشكلة بـروح عادلـة ومشـــروعـة ، وهــذان معيـاران لا اتخــلى عنهــما ، العـدل ، والمشروعيـة . . . انـا قـارىء، واحـد من النخبة القارئة ، من زبائن الشعراء، من « المشترية » ولا يمكن لأي ارهـاب عروضي او سيـاسي او تلفيق لـغــوي ان يجبــرني عــلى الـتخــلي عـن حقـي في الـدهشة . . اذا لم تـدهشني القصيدة ، اذا لم تتمكن القصيـــدة ، من ادخـالي ، قهــراً او طــوعــاً ، الى عالمها ، لاكتفي بها ،أو احاول استكمالها في ســري ، قبل النوم او اثنـاءه ، فأني لن اصـافحها ، لن ابكي في حضـرتهـا ولن ابتسم ، لن احــزن ولن افـرح ، وسـأقول للشـاعر انـك اعتـديت عـليَّ واخـذت من وقتي . . اولادي بحاجة الى هذا الوقت .

واذا كانت القصيدة حديثة ، غثياناً او لعبة ، فإن بامكاني ان اذهب الى اي (هـرم خرف) من ضيعتي واستدرجه الى تداعيات استمتع بها وفي المدينة مجانين اكثر . .

واما اذا كانت القصيدة عمودية تنسحب منها لحظات الشعر لصالح الاسمنت فان بامكاني ان اذهب الى السياسي العربي لأمارس الملل من خلال سماعي لخطابه المكرور وصبري عليه . . . واقبض ثمن ذلك تنكة من نفط .

ولكني في كل حال غير مستعد للذهاب مع المعمار الآتي من بلاد الاجانب ، حيث بلغت أزمة التكيف والتوازن مداها ، الى المدى الذي يريده ، هو ذهب وعاد مسكوناً بمشاعر الدونية الحضارية ، وانا محصّن ضدها بالاسلام ، وهو يجد نفسه مضطرّاً للذهاب في الاتباع والتقليد دون رادع . . . وانا يمنعني اسلامي ويكفيني ويدلني ماذا يجب ان آخذ أو اترك . وارى الآخرين بحاجة الى مقتنياتنا ايضاً ، بل اولاً . . . ان بعض المعماريين يريدون ان يمضوا في تعديل هندسة بيوتنا واذواقنا الى الحد الذي تصبح فيه « فوتوكبي » عن علب نيويورك ، لا مكان فيها للراحة ، للاستلقاء، للقيلولة ، للتربع ، والتربع اساساً لم يعد ممكناً ، بنطلون الجينز لا يسمح

به . . . أنا لا أريد لساقي أو لوجداني ان يتيبس . . في مثل هذه البيوت والأعمال الفنية ، تنتابني أعراض الضيق والخوف من مرض (الديسك) ولا أستطيع اشراك الشمس في قهوتي الصباحية لأن بيوتهم بدون (بلكونات) .

لا استطيع ان اتخفف من بعض ملابسي . . لأني مصر على الاحتفاظ بحيائي واحترام جسدي . . . لا أريد أن أجعل هذا الجسد شيئاً . . أنا لا تحكمني ثنائية الروح والجسد . . أنا موحد وتوحيدي . . . بيوتهم بدون أسوار ، ولكنهم لا يتبادلون تحية الصباح .

الم يثبت بالتالي أن طراز بيوتنا أفضل . . ولكني لست رافضاً للتعديل . . . . انا مع « عبد الحميد الثاني » واشترط الأبقاء على الغاية من معمارنا . . شكلاً . . . بقدر ما يخدم هذا الشكل الغاية المعمارية .

في الشعر . . في الفنون جميعها . . نحن كذلك ، غائيون . . وهم غائيون ايضاً . . والغايات تختلف

منبعاً ومصباً . . غايتنا تأتي من ايماننا بالله . . . وعيوننا على اليوم الآخر .

دعني أقل لك : اني اشترط على الشعر شرطاً واحداً . . . أن يكون شعراً . . اني ارفض العمود عندما يصبح سجناً للشعر، ولا يمكنني ان أجد في أي هوس أو تفلت من المعايير شعراً .

عن علاقة الشكل بالمضمون . . المسألة محلولة عندنا من الأساس . . أنا اقرأ القرآن الكريم ، وأرى في الاطار التعبيري والصورة البيانية ، لا مجرد وعاء يشاكل محتواه بنسبة أو بأخرى ، أراه جزءاً من المحتوى يؤدي نفس الوظيفة ، أراه جزءاً من الاطروحة القرآنية ، من الهم القرآني ، زرع الايمان ترسيخه ورعايته ، جمالية القرآن تأتي من هنا . . لا تعود الجمالية ترفاً مضافاً الى مضمون . . . ومن هنا نرى عمومية القرآن في وجدان الناس وآذانهم . . ومن هنا يأتي هذا الاستمتاع النظيف والدائم وهذا الصمت امام القرآن ، ليس هنا طرفان اذن ، شكل ومضمون ، هذه ثنائية أتت من اوروبا من الارث

الهليني ، لقد أفسدت ثنائية الاغريق كل شيء في اوروبا فلماذا تفسدنا ؟ .

ان القرآن باعجازه لا يحبطنا ، انه يشكل حافزاً للاقتراب منه . . اذن انا منحاز للجودة . . للعمل الفني الجميل ، ولا أتصور الجمال منفصلاً او ممكناً بدون الصدق والايمان بقضية محقة وعادلة .

هنا نستطيع ان نصل الى اشاعة العمل الادبي وتعميمه . . اني اتساءل : ما الذي يحفظه ويردده الناس ويتعاطاه قراؤنا المتمكنون من التذوق والاستيعاب من شعر « محمود درويش » مثلاً . . غير ما يغنيه « مارسيل خليفة » ؟ اي ما يستند الى مؤثر خارجي غير الشعر . . . وأنا لا أتحدث هنا عن النقاد والشعراء التلاميذ الذين يرددون شعر اساتذتهم . . .

وماذا يتبقى من الاعمدة الاسمنتية ؟ . . تسقط ويبقى ما فيه حق وجمال وصدق وهذه هي القضية . في كتابتي الأولية عن المسرح أردت أن أقول : كفانا ما

عانينا من تغريب، لقد اتحنا للغرب ان يدخل في مسامنا . .

تعالوا نضع المسألة في نصابها ، تعالوا نلتقط ذاتنا من بين الفناء والركام ، نبحث عن اختراقات الغرب ، نعزلها جانباً ونبدأ الحوار مع الغرب، اذا أردناه من نقطة وعي الذات .

اني انطلق في معالجتي للمسرح من نقطة انه في شكله الغربي متطابق مع بنية المجتمع الغربي كمجتمع تعددي، ونحن نتغاير مع المجتمع الغربي هذا في كوننا مجتمعاً توحيدياً، وذلك يقتضي ان يكون الانتاج المسرحي في شكله الغربي غير متطابق مع بنيتنا . . فلا بد من البحث عن شكل آخر . . قد يوصلنا البحث الى الاستغناء عن المسرح. . ولا كارثة . . تعددية الغرب أتته من الاغريق . . وهي باقية فيه . . قام بعض الغربيين ببعض التعديلات . . أنا ارفض الأصل والتعديلات ، لأنها تعديلات على ذلك الأصل تحفظه ـ بتعدديته ـ معدلاً ولا تنفيه ، وتعدديته اصل فيه ، اصل في الأصل، من

هنا اصل الى رفض النص المسرحي المكتوب، لانه لا يتم (تـدبيجـه) الاّ عـلى قـاعـدة التعـدد والانفصـال ، وأدعو الى العـودة الى الحياة ونقلهـا ، الى نقل حركة المجتمع الاسلامي دون تشويهها ، ولا أرى الحـل في تمـرد « شكسبـير » أو « بيكيت » او (أونيسكو) على بعض القواعد الارسطية ، ان ذلك يستدعي العودة الى دراسة تمايزنا البنيوي عن الغرب ابتداءً من الاسلام في مستوياته كافة . . الايدلـوجي والعبادي والاجتماعي . . .

لمـاذا هـذه الاهتمـامـات . . . التي أرى ضـرورة تعميمها على بقية الانواع الأدبيـة ؟ لأن هناك منـطقة فـراغ اسلامي فيـا يخص هذه المسـائـل . . منـطقـة حديثة . . حدثت متزامنة مع التراجع العام .

والآن بلغ التراجع حده . . وبدأ الاسلام يستعيد مبادرته . . فلا بد من ملء مناطق الفراغ .

أثرتني . . اقتحمت قراري . . حركت سواكني . فنشرتُ احزاني وانفعـالاتي وهمـومي في وجهـك دون حساب .

دعني الآن. اني مشتاق الى امي . . وقد توفي جدي في غيابي ، وهو كان يحلم بان اصلي على جنازته .

وفلسطين تبتعد . . وقد كنت الى وقت مضى اسمع صوت خلاخيلها وهي تقترب من مرمى القلب والعين والأذن . . والآن اسمع صوت حوافرهم . .

لولا ايران . . اما كان الأجدر بي ان اتظاهر بالصمم والبكم ؟ اللهم اطل عمر الامام وانصر جيوش المسلمين وعجل ظهور المهدي . . هذا هو الحل .

مجلة الشهيد/ نيسان ١٩٨٣



من وثق بماء لم يظمأ

من المفترض ان يكون للقاريء في أي صحيفة او كتاب صغير محطة يستريح فيها، من عناء السفر بين العناوين الصعبة .

يتنسم فيها عبير وردة ترتوي من امنية مشروعة او تطلع من جرح طاهر . .

يتناول كأسا من شاي يروي ظمأ ، يرشف كفا من قراح يبترد يسترخي ، يغمض عينيه مطمئنا

تحت سقف صريفة ، او في ظل نخلة ، ثم يتابع سيره على هدى ، الى مدن متباعدة تتباعد في المسافة ، وتقترب من الوجدان .

تماما كما كان يفعل المسافر بين خرمشهر والبصرة ، بين البصرة وكربلاء ، بين كربلاء وبغداد ، بين بغداد ودمشق ، بين دمشق وبيروت بين بيروت وحيفا ، وبين حيفا وغزة ، بين غزة والاسماعيلية ، بين الاسماعيلية والقاهرة . . الخ .

***

ان للقاريء حقا في ان يعلن التعب ويطلب الراحة والمقيل . . ولكن للكاتب حقا ايضا في ان يعلن الغضب . .

« ان امرنا صعب مستصعب » ومن يتوخى الراحة عليه ان يستقيل . . وقد قضى المواطن الفلسطيني « علي طه » مائة وعشرين ساعة بين مطار بيروت ، ومطار الكويت . . ثم اختفى !!

وهل يلزم البدوي الذي يكتوي بحر الصحراء

وينصهر شوقا الى الماء والأفياء ان يستعيض عن الواحة بوهم الواحة ؟ . . هل يقتعد البدوي لاهب الرمال ، ويستظل حارق الأشعة ، يتوهم البرودة وينام ؟

هل نصدق ان ما بين الحدود يصلح ان يكون وطنا . . ؟

ان البدوي الذي يعاني اللفح والعطش يلزم نفسه بالبحث عن الواحة . .

ونحن . . منذ ان زوروا لنا اوطانا الزمنا انفسنا بالبحث عن الوطن ! !

وقد اتانا زمن لاحت لنا فيه ظلال الواحة ظليلة وارفة . . رأينا الوطن الاسلامي ، الأخضر ، يبزغ من نقطة ما ، يزحف باتجاه الصحراء وقلنا : نسافر الى الواحة ، الى الاسلام ، لغة وهموماً وامنيات نسافر جسداً ، او فكراً ، او فعلاً . . وفي السفر الى الاسلام عودة وحضور . .

قلنا : زمان الغربة ولى . .

واتيناها .. اتينا طهران نرتوي ونبترد .. تدفقت ينابيع الاحلام والآمال بين اصابعنا المحترقة ..

وقلنا نعود .. نصبر ، ونعود .. تزول الحدود ، تنفتح الواحة على الواحة ، تنسحب الصحراء ، يسير السائر منا من طهران الى تطوان مروراً بالقدس وبئر السبع ، ولا يخاف الا الله ، والذئب على غنمه .

ننتظر ، لا نستعجل الأمر ، وقد اصبحنا على الطريق ، نتابع المسير على هدى .

ولكنه زمن التصحر .. زمن زحف الصحراء على الخضراء .. وما عتمت الصحاري القاحلة ان حاصرت الواحة .. والتقى مهندسو الجدب .. ليمنعوا الخضرة من الانتشار .. غير ان الخضرة ، الثورة الاسلام ملزمة بالانتشار ، هو خيارها الوحيد ..

و« يا ابا ذر ، لو ان السماء والأرض كانتا رتقا على عبد ، ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا » .

***

الفهرس

الموضوع ــــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة

